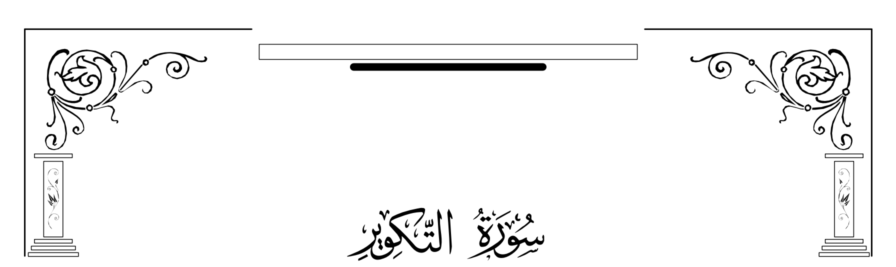


محمد حسن عباس





سُورَةُ التَّكْوِيرِ

أَسْمَاءُ السُّورَةِ:

لَمْ يَثْبُتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سَمَّاهَا تَسْمِيَةً صَرِيحَةً، وَفِي حَدِيثِ التِّرْمِذِيِّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ**»(١)، وَلَيْسَ هَذَا صَرِيحًا فِي التَّسْمِيَةِ؛ لِأَنَّ صِفَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَيْسَتْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ السُّورَةِ، بَلْ هِيَ فِي الْآيَاتِ الْأُوَلِ مِنْهَا، فَتَعَيَّنَ أَنَّ الْمَعْنَىٰ: فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَعُنْوِنَتْ فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» وَفِي «جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ»: «سُورَةُ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»، وَكَذَلِكَ عَنْوَنَهَا الطَّبَرِيُّ.

وَأَكْثَرُ التَّفَاسِيرِ يُسَمُّونَهَا: «سُورَةُ التَّكْوِيرِ»، وَكَذَلِكَ تَسْمِيَتُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، وَهُوَ اخْتِصَارٌ لِمَدْلُولِ «كُوِّرَتْ».

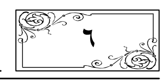
وَتُسَمَّىٰ «سُورَةُ كُوِّرَتْ» تَسْمِيَةً بِحِكَايَةِ لَفْظٍ وَقَعَ فِيهَا، وَلَمْ يَعُدَّهَا فِي «الْإِتْقَانِ» مَعَ السُّوَرِ الَّتِي لَهَا أَكْثَرُ مِنَ اسْمٍ(٢).

---

(١) «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ ت بَشَّارٌ» (٥/ ٢٩٠)، وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ: إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ (الْفَتْحُ ٨/ ٦٩٥)

(٢) «جَمَالُ الْقُرَّاءِ وَكَمَالُ الْإِقْرَاءِ ت عَبْدُ الْحَقِّ» (١/ ٢٠١) «التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ» (٣٠/ ١٣٩)





تَرْتِيبُ نُزُولِ السُّورَةِ:

وَهِيَ معْدُودَةٌ السَّابِعَةُ فِي عِدَادِ نُزُولِ سُوَرِ الْقُرْآنِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمَسَدِ، وَقبْلَ سُورَةِ الْأَعْلَىٰ[١].

هَلِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ أَمْ مَدَنِيَّةٌ؟:

نقلَ ابْنُ الْجوْزِ وابْنُ عَطِيَّة وَالْقُرْطُبِيُّ وَالْبِقَاعِيُّ الْإِجْمَاعَ عَلَىٰ أَنَّها مكيَّةٌ[٢].

مُنَاسَبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا:

لِمَّا السُّورَتَيْنِ تَشْرَحَانِ أَحْوَالَ يَوْمِ الْقِيَامةِ وأَهْوَالَها[٣]، وَلَمَّا قَال -سُبْحَانَهُ-: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ...﴾ الْآيَاتِ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ»؛ كَانَ مَظِنَّة لِاسْتِفْهَامِ السَّائِلِ عَنْ الْوُقُوعِ وَمَتَىٰ يكُونُ، فَقَال -تَعَالَىٰ-: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾[٤].

أَغْرَاض السُّورَةِ:

هذِهِ السُّورَةُ تُخْبِرُ الْعَاقِلَ بِخَرَابِ هَذا الْعَالَمِ، وَمَنْ عَلِمَ خَرَاب شيْءٍ

---

(١) «تفْسِيرُ الزَّمخْشَرِ = الْكشَّافُ عَنْ حقائِقِ غَوامِضِ التَّنْزِيلِ» (٤/٧٠٦) «الزِّيَادَةُ وَالْإِحْسانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» (١/٢٠٧)

(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ» (٥/٤٤١) «زَادُ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (٤/٤٠٥) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩/٢٢٦) «مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلْإِشْرَافِ عَلَىٰ مَقَاصِدِ السُّوَرِ» (٣/١٦٠)

(٣) «أَسْرارُ تَرْتِيبِ الْقُرْآنِ لِلسُّيُوطِيِّ -بِمَعْنَاهُ» (ص١٥٣) «تَفْسِيرُ الْمَرَاغِي» (٣٠/٥٢)

(٤) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/٢٧٥) «الْبُرْهانُ فِي تَنَاسُبِ سُوَرِ الْقُرْآنِ» (ص٣٥٨)



زَهِدَ فِي كُلِّ مَا يَجُرُّ إِلَيْهِ، وَلَمْ يُبَالِ بِهِ، وَابْتَعَدَ عَنِ التَّعَلُّقِ بِشَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِهِ.

وَتَصِفُ أَحْدَاثَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِمَا يَخْلَعُ الْقُلُوبَ، وَيُخَوِّفُ النُّفُوسَ، وَفِيهَا تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ بِيَوْمِ الْوَعِيدِ، يَوْمِ الِانْقِلَابِ التَّامِّ لِكُلِّ مَعْهُودٍ، وَالثَّوْرَةِ الشَّامِلَةِ لِكُلِّ مَوْجُودٍ، الِانْقِلَابُ الَّذِي يَشْمَلُ الْأَجْرَامَ السَّمَاوِيَّةَ وَالْأَرْضِيَّةَ، وَالْوُحُوشَ النَّافِرَةَ، وَالْأَنْعَامَ الْأَلِيفَةَ، وَنُفُوسَ الْبَشَرِ، وَأَوْضَاعَ الْأُمُورِ؛ حَيْثُ يَنْكَشِفُ كُلُّ مَسْتُورٍ، وَيُعْلَمُ كُلُّ مَجْهُولٍ، وَتَقِفُ النَّفْسُ أَمَامَ مَا أَحْضَرَتْ مِنَ الرَّصِيدِ وَالزَّادِ فِي مَوْقِفِ الْفَصْلِ وَالْحِسَابِ[1]، لِذَا شَابَ مِنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ شِبْتَ، قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وَ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[2]. وَالشَّيْبُ يَحْصُلُ مِنَ الْخَوْفِ، وَخُصَّتْ هَذِهِ السُّوَرُ بِالشَّيْبِ؛ لِأَنَّهُنَّ أَجْمَعُ لِكَيْفِيَّةِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا[3].

وَسَبَقَ حَدِيثُ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ؛ فَلْيَقْرَأْ: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، وَإِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ**».

وَاشْتَمَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَلَىٰ تَحْقِيقِ الْجَزَاءِ صَرِيحًا، وَإِثْبَاتِ الْبَعْثِ، وَابْتُدِئَ بِوَصْفِ الْأَهْوَالِ الَّتِي تَتَقَدَّمُهُ، وَانْتُقِلَ إِلَىٰ وَصْفِ أَهْوَالٍ تَقَعُ عَقِبَهُ، وَالتَّنْوِيهِ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ الَّذِي كَذَّبُوا بِهِ لِأَنَّهُ أَوْعَدَهُمْ بِالْبَعْثِ.

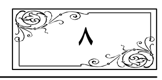
---

(١) «فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ» (٦/ ٨٢٦)

(٢) «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ ت بَشَّارٌ» (٥/ ٢٥٥) هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَرَوَىٰ عَلِيُّ بْنُ صَالِحٍ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، نَحْوَ هَذَا. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، شَيْءٌ مِنْ هَذَا مُرْسَلًا. وَانْظُرْ: «عِلَلَ الدَّارَقُطْنِيِّ = الْعِلَلُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ» (١/ ١٩٤)

(٣) «الْبُرْهَانُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ» (١/ ٤٤٤)





وَقَالَ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: سُورَةُ التَّكْوِيرِ فِيهَا خَوَاتِمُ الْمَصِيرِ، وَهِيَ صِفَةُ الْقِيَامَةِ لِمَنْ أَيْقَنَ، وَفِيهَا تَجَلِّيْ مَعَانِي الْغَضَبِ لِمَنْ عَايَنَ آخِرَ ذَلِكَ، ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾؛ هَـــذَا فَصْلُ الْخِطَابِ؛ أَيْ: عِنْدَ تَسْعِيرِ النِّيرَانِ وَاقْتِرَابِ الْجِنَانِ، حِينَئِذٍ يَتَبَيَّنُ لِلنَّفْسِ مَا أَحْضَرَتْ مِنْ شَرٍّ يَصْلُحُ لَهُ الْجَحِيمُ، أَوْ خَيْرٍ يَصْلُحُ لَهُ النَّعِيمُ، وَتَعْلَمُ إِذْ ذَاكَ مِنْ أَيِّ أَهْلِ الدَّارَيْنِ تَكُونُ، وَفِي أَيِّ الْمَنْزِلَيْنِ تَحِلُّ، فَكَمْ مِنْ قُلُوبٍ قَدْ تَقَطَّعَتْ حَسَرَاتٍ عَلَىٰ الْإِبْعَادِ مِنَ الْجِنَانِ بَعْدَ اقْتِرَابِهَا، وَكَمْ مِنْ أَبْصَارٍ ذَلِيلَةٍ خَاشِعَةٍ لِمُشَاهَدَةِ الْأَهْوَالِ، وَكَمْ مِنْ عُقُولٍ طَائِشَةٍ لِمُعَايَنَةِ الزِّلْزَالِ[١].



(١) «قُوتُ الْقُلُوبِ فِي مُعَامَلَةِ الْمَحْبُوبِ وَوَصْفُ طَرِيقِ الْمُرِيدِ إِلَىٰ مَقَامِ التَّوْحِيدِ» (١/ ٣٨٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٧٤) «مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلْإِشْرَافِ عَلَىٰ مَقَاصِدِ السُّوَرِ» (٣/ ١٦١) «التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ» (٣٠/ ١٣٩)



﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَىٰ هَا هُنَا اثْنَتَا عَشْرَةَ خَصْلَةً؛ سِتَّةٌ فِي الدُّنْيَا، وَسِتَّةٌ فِي الْآخِرَةِ[١].

وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: سِتُّ آيَاتٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: بَيْنَا النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ، إِذْ ذَهَبَ ضَوْءُ الشَّمْسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ تَنَاثَرَتِ النُّجُومُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ وَقَعَتِ الْجِبَالُ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، فَتَحَرَّكَتْ وَاضْطَرَبَتْ وَاحْتَرَقَتْ، وَفَزِعَتِ الْجِنُّ إِلَىٰ الْإِنْسِ، وَالْإِنْسُ إِلَىٰ الْجِنِّ، وَاخْتَلَطَتِ الدَّوَابُّ وَالطَّيْرُ وَالْوَحْشُ، وَمَاجُوا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ قَالَ: اخْتَلَطَتْ، ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قَالَ: أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قَالَ: قَالَتِ الْجِنُّ لِلْإِنْسِ: نَحْنُ نَأْتِيكُمْ بِالْخَبَرِ؛ قَالَ: فَانْطَلَقُوا إِلَىٰ الْبِحَارِ، فَإِذَا هِيَ نَارٌ تَأَجَّجُ؛ قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ صَدْعَةً وَاحِدَةً، إِلَىٰ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَىٰ،

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٢٨)





وَإِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا؛ قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرِّيحُ فَأَمَاتَتْهُمْ[١].

إِشْكَالٌ وَجَوَابُهُ:

قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي الْوَفَاءِ ابْنِ عَقِيلٍ: يَا سَيِّدِي، هَبْ أَنَّ اللَّهَ أَنْشَرَ الْمَوْتَىٰ لِلْبَعْثِ وَالْحِسَابِ، وَزَوَّجَ النُّفُوسَ بِقُرَنَائِهَا لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، فَلِمَ هَدَمَ الْأَبْنِيَةَ وَسَيَّرَ الْجِبَالَ، وَدَكَّ الْأَرْضَ وَفَطَرَ السَّمَاءَ، وَنَثَرَ النُّجُومَ وَكَوَّرَ الشَّمْسَ؟

فَقَالَ: إِنَّمَا بَنَىٰ لَهُمُ الدَّارَ لِلسُّكْنَىٰ وَالتَّمَتُّعِ، وَجَعَلَهَا وَجَعَلَ مَا فِيهَا لِلاعْتِبَارِ وَالتَّفَكُّرِ، وَالِاسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ بِحُسْنِ التَّأَمُّلِ وَالتَّذَكُّرِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ السُّكْنَىٰ وَأَجْلَاهُمْ مِنَ الدَّارِ خَرَّبَهَا؛ لِانْتِقَالِ السَّاكِنِ مِنْهَا.

فَأَرَادَ أَنْ يُعْلِمَهُمْ بِأَنَّهَا كَانَتْ مَعْمُورَةً بِهِمْ، وَفِي إِحَالَةِ الْأَحْوَالِ وَإِظْهَارِ تِلْكَ الْأَهْوَالِ وَبَيَانِ الْقُدْرَةِ بَعْدَ بَيَانِ الْعِزَّةِ، وَتَكْذِيبٍ لِأَهْلِ الْإِلْحَادِ وَزَنَادِقَةِ الْمُنَجِّمِينَ وَعُبَّادِ الْكَوَاكِبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْأَوْثَانِ، فَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ، فَإِذَا رَأَوْا أَنَّ مَنَارَ آلِهَتِهِمْ قَدِ انْهَدَمَ، وَأَنَّ مَعْبُوداتِهِم قَدِ انْتَثَرَتْ وَانْفَطَرَتْ، وَمَحَالَّهَا قَدْ تَشَقَّقَتْ؛ ظَهَرَتْ فَضَائِحُهُمْ، وَتَبَيَّنَ كَذِبُهُمْ، وَظَهَرَ أَنَّ الْعَالَمَ مَرْبُوبٌ مُحْدَثٌ مُدَبَّرٌ، لَهُ رَبٌّ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ؛ تَكْذِيبًا لِمَلَاحِدَةِ الْفَلَاسِفَةِ الْقَائِلِينَ بِالْقِدَمِ، فَكَمْ لِلَّهِ -تَعَالَىٰ- مِنْ حِكْمَةٍ فِي هَدْمِ هَذِهِ الدَّارِ، وَدَلَالَةٍ عَلَىٰ عِظَمِ عِزَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَانْفِرَادِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَانْقِيَادِ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَسْرِهَا لِقَهْرِهِ، وَإِذْعَانِهَا لِمَشِيئَتِهِ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ[٢].

---

(١) «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ ط عَالَمُ الْفَوَائِدِ» (٣/ ١١٣١)

(٢)



﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾:

يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِابْتِدَاءِ خِطَابٍ، وَلَكِنَّهُ جَوَابٌ عَنْ سُؤَالٍ تَقَدَّمَ؛ فَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ السُّؤَالُ عَنْ وَقْتِ لِقَاءِ الْأَنْفُسِ الْأَعْمَالَ؛ فَنَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ إِشَارَةً إِلَىٰ أَحْوَالِ ذَلِكَ الْوَقْتِ وَآثَارِهَا[١].

معْنَىٰ التَّكْوِيرِ:-

(كَوَرَ) الْكَافُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ دَوْرٍ وَتَجَمُّعٍ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ كَأَنَّهَا جُمِعَتْ جَمْعًا. وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ [الزُّمَرِ: ٥] أَيْ: يُدِيرُ هَذَا عَلَىٰ ذَاكَ، وَيُدِيرُ ذَاكَ عَلَىٰ هَذَا. كَمَا جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ: زِيدَ فِي هَذَا مِنْ ذَلِكَ، وَفِي ذَاكَ مِنْ هَذَا[٢].

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: وَمَعْنَىٰ «كُوِّرَتْ»: جُمِعَ ضَوْؤُهَا، وَلُفَّتْ كَمَا تُلَفُّ الْعِمَامَةُ. يُقَالُ: كَوَّرْتُ الْعِمَامَةَ عَلَىٰ رَأْسِي أُكَوِّرُهَا: إِذَا لَفَفْتُهَا.

وَقَالَ الرَّاغِبُ: كَوْرُ الشَّيْءِ: إِدَارَتُهُ وَضَمُّ بَعْضِهِ إِلَىٰ بَعْضٍ[٣].

وَيُقَالُ: قَدْ تَغَيَّرَتْ حَالُهُ وَانْتَقَضَتْ كَمَا يَنْتَقِضُ كَوْرُ الْعِمَامَةِ بَعْدَ الشَّدِّ[٤].

---

(١) أُنْظُرْ: «تَفْسِيرَ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٣٠)
(٢) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٥/ ١٤٦)
(٣) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٧٢٩)
(٤) «لِسَانُ الْعَرَبِ» (٥/ ١٥٥)



وَفِي الْحَدِيثِ: «**نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ**»(١) أَيْ: مِنَ التَّشَتُّتِ بَعْدَ الْأُلْفَةِ. وَالطَّيُّ وَاللَّفُّ وَالْكَوْرُ وَالتَّكْوِيرُ وَاحِدٌ(٢).

فِي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿كُوِّرَتۡ﴾ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَظْلَمَتْ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْفَرَّاءُ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ(٣).

وَالثَّانِي: ذَهَبَتْ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَكَذَلِكَ قَالَ مُجَاهِدٌ: اضْمَحَلَّتْ(٤).

وَالثَّالِثُ: رُمِيَ بِهَا، رُوِيَ عَنْ أَبِي صَالِحٍ وَالرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ(٥).

وَالرَّابِعُ: جُمِعَتْ وَلُفَّتْ، قَالَهُ أَبُو عُبَيْدٍ(٦).

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَنَا: أَنْ يُقَالَ ﴿كُوِّرَتۡ﴾ كَمَا قَالَ اللَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-، وَالتَّكْوِيرُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: جَمْعُ بَعْضِ الشَّيْءِ إِلَىٰ بَعْضٍ، وَذَلِكَ كَتَكْوِيرِ الْعِمَامَةِ، وَهُوَ لَفُّهَا عَلَىٰ الرَّأْسِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ إِنَّمَا مَعْنَاهُ: جَمْعُ بَعْضِهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، ثُمَّ لُفَّتْ فَرُمِيَ بِهَا، وَإِذَا فُعِلَ ذَلِكَ بِهَا ذَهَبَ ضَوْءُهَا(٧).

---

(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا سَافَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ اصْحَبْنَا فِي سَفَرِنَا، وَاخْلُفْنَا فِي أَهْلِنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَمِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَمِنْ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، وَمِنْ سُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ. «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ ت بَشَّارُ» (٥/ ٣٧٤)

(٢) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ» (٣١/ ٦٣)

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٢٩) «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (٣/ ٢٣٩)

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٢٩)

(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٢٩)

(٦) «الْغَرِيبَيْنِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ» (٥/ ١٦٥٤)

(٧) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣١)

وَالْأَقْوَالُ الْأَرْبَعَةُ السَّابِقَةُ رَاجِعَةٌ إِلَىٰ الْقَوْلَيْنِ اللَّذَيْنِ ذَكَرَهُمَا الطَّبَرِيُّ.

وَيَشْهَدُ لِهَذِهِ الْمَعَانِي: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[١]

(مُكَوَّرَانِ) أَيْ: مَطْوِيَّانِ ذَاهِبَا الضَّوْءِ. وَزَادَ الْبَزَّارُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ وَالْإِسْمَاعِيلِيُّ فِي مُسْتَخْرَجِهِ: «**فِي النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢].

الْحِكْمَةُ مِنْ تَكْوِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي النَّارِ:-

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: لَيْسَ الْمُرَادُ بِكَوْنِهِمَا فِي النَّارِ تَعْذِيبُهُمَا بِذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ تَبْكِيتٌ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُهُمَا فِي الدُّنْيَا؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَتَهُمْ لَهُمَا كَانَتْ بَاطِلًا[٣].

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَمْ يُعَذَّبَا بِالنَّارِ حِينَ أُدْخِلَاهَا، وَلَكِنَّهُمَا خُلِقَا مِنْهَا، ثُمَّ رُدَّا إِلَيْهَا. وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَىٰ أَنَّ شِدَّةَ حَرِّهَا مِنْ فَوْحِ جَهَنَّمَ، وَلِذَلِكَ قَالَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «**أَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَوْحِ جَهَنَّمَ**»[٤]، فَمَا كَانَ مِنَ النَّارِ، ثُمَّ رُدَّ إِلَىٰ النَّارِ؛ لَمْ يُقَلْ: إِنَّهُ يُعَذَّبُ[٥].

---

(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٣٢٠٠)

(٢) إِرْشَادُ السَّارِي لِشَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (٥/ ٢٥٩)

(٣) «أَعْلَامُ الْحَدِيثِ (شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ)» (٢/ ١٤٧٧)

(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ». «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (١/ ١١٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١/ ٤٣٠)

(٥) «تَأْوِيلُ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ» (ص١٦٦)





وَقَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ: لَا يَلْزَمُ مِنْ جَعْلِهِمَا فِي النَّارِ تَعْذِيبُهُمَا؛ فَإِنَّ لِلَّهِ فِي النَّارِ مَلَائِكَةً وَحِجَارَةً وَغَيْرَهَا؛ لِتَكُونَ لِأَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، وَآلَةً مِنْ آلَاتِ الْعَذَابِ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ؛ فَلَا تَكُونُ هِيَ مُعَذَّبَةً[١].

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: تُطْرَحُ فِي جَهَنَّمَ لِيَرَاهَا مَنْ عَبَدَهَا كَمَا: قَالَ ﷻ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ[٢].

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ وَإِذَا النُّجُومُ تَنَاثَرَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَتَسَاقَطَتْ.

وَالِانْكِدَارُ: انْقِلَابُ الشَّيْءِ حَتَّىٰ يَصِيرَ الْأَعْلَىٰ لِأَسْفَلَ[٣]. وَأَصْلُ الِانْكِدَارِ: الِانْصِبَابُ.

وَالْكَدَرُ: ضِدُّ الصَّفَاءِ، يُقَالُ: عَيْشٌ كَدِرٌ، وَالِانْكِدَارُ: تَغَيُّرٌ مِنَ انْتِثَارِ الشَّيْءِ، وَانْكَدَرَ الْقَوْمُ عَلَىٰ كَذَا: إِذَا قَصَدُوا مُتَنَاثِرِينَ عَلَيْهِ[٤].

وَقَوْلُهُ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾؛ فِيهِ أَرْبَعَةُ تَأْوِيلَاتٍ:

أَحَدُهَا: تَنَاثَرَتْ، قَالَهُ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ والرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ[٥]. كَقَوْلِهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار: ٢]

الثَّانِي: تَغَيَّرَتْ فَلَمْ يَبْقَ لَهَا ضَوْءٌ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ[٦] وَهِيَ كَقَوْلِهِ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾

---

(١) «فَتحُ الْبَارِي لِابْنِ حَجَرٍ» (٦/ ٣٠٠)
(٢) «تَفْسِيرُ الزَّمَخْشَرِيِّ = الْكَشَّافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ» (٤/ ٧٠٧)
(٣) «تَفْسِيرُ ابْنِ فُورَكَ» (٣/ ١٥٧)
(٤) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٧٠٤)
(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٢)
(٦) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٢)



الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ انْكِدَارُهَا طَمْسَ آثَارِهَا، وَسُمِّيَتِ النُّجُومُ نُجُومًا لِظُهُورِهَا فِي السَّمَاءِ بِضَوْئِهَا. قَالَهُ الْمَاوَرْدِيُّ(١).

الرَّابِعُ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: رُمِيَ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ(٢).

ثُمَّ ضَرَبَ اللَّهُ أَمْثِلَةً لِخَرَابِ الْعَالَمِ فَقَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾

(سَيَرَ) السِّينُ وَالْيَاءُ وَالرَّاءُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَىٰ مُضِيٍّ وَجَرَيَانٍ(٣).

السَّيْرُ: الْمُضِيُّ فِي الْأَرْضِ(٤).

تُقْلَعُ الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، كَمَا قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾، وَهِيَ إِذَا قُلِعَتْ تَكَثَّرَتْ؛ حَتَّىٰ لَا يَتَبَيَّنَ لِلنَّاظِرِ سَيْرُهَا؛ لِكَثْرَتِهَا؛ فَيَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَسِيرُ، وَهَذَا أَوَّلُ تَغَيُّرٍ يَظْهَرُ مِنْهَا، ثُمَّ تَصِيرُ كَثِيبًا مَهِيلًا، ثُمَّ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ، ثُمَّ هَبَاءً مَنْثُورًا إِلَىٰ أَنْ تَتَلَاشَىٰ وَتَتْلَفَ(٥).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: تَقَلَّعَتْ مِنْ أُصُولِهَا، فَسَارَتْ وَصَارَتْ كَالْهَبَاءِ الْمُنْبَثِّ، وَهِيَ كَقَوْلِهِ: ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النَّمْلِ: ٨٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النَّبَإِ: ٢٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ﴾ [الكَهْفِ: ٤٧](٦).

---

(١) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٢١٣)
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٢)
(٣) «مَقَايِيْسُ اللُّغَةِ» (٣/ ١٢٠)
(٤) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيْبِ الْقُرْآنِ» (ص٤٣٢)
(٥) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٣١)
(٦) (التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ لِلْوَاحِدِيِّ ٢٣/ ٢٢٦)





قَالَ مُقَاتِلٌ: سُوِّيَتِ الْجِبَالُ بِالْأَرْضِ كَمَا خُلِقَتْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَلَيْسَ عَلَيْهَا جَبَلٌ وَلَا فِيهَا وَادٍ.

وَقَدْ سَبَقَ فِي سُورَةِ النَّبَأِ الْحَدِيثُ عَنِ الْجِبَالِ وَمَا يَحْدُثُ لها.

وَقَالَ الْبِقَاعِيُّ: وَالْجِبَالُ فِي الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ كَالنُّجُومِ فِي الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ، وَهِيَ أَصْلَبُ مَا فِي الْأَرْضِ، دَلَّ عَلَىٰ عَظَمَةِ الْقُدْرَةِ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ؛ فَقَالَ: ﴿سُيِّرَتْ﴾ أَيْ: وَقَعَ تَسْيِيرُهَا بِوَجْهِ الْأَرْضِ فَصَارَتْ كَأَنَّهَا السَّحَابُ فِي السَّيْرِ وَالْهَبَاءُ فِي النَّثْرِ؛ لِتَسْتَوِيَ الْأَرْضُ فَتَكُونَ قَاعًا صَفْصَفًا لَا عِوَجَ فِيهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَا يَقْبَلُ الْعِوَجَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِوَجْهٍ(١).

وَلَمَّا ذَكَرَ أَعْلَامَ الْجَمَادِ، أَتْبَعَهُ أَعْلَامَ الْحَيَوَانِ النَّافِعِ الَّذِي هُوَ أَعَزُّ أَمْوَالِ الْعَرَبِ وَأَغْلَبُهَا

عَلَىٰ وَجْهٍ دَلَّ عَلَىٰ عِظَمِ الْهَوْلِ؛ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾

آيَاتٌ لَهَا نَفْسُ الْمَعْنَىٰ:

قَالَ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]

وَقَالَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وَكَقَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٧٧)



كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾.

الْعِشَارُ

وَالنَّاقَةُ عُشَرَاءُ: أَيْ: مَرَّ مِنْ حَمْلِهَا عَشَرَةُ أَشْهُرٍ، وَجَمْعُهَا: عِشَارٌ[(١)].

وَمَعْنَىٰ ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُرِكَتْ هَمَلًا بِلَا رَاعٍ. وَكُلُّ شَيْءٍ تُرِكَ ضَيَاعًا فَهُوَ مُعَطَّلٌ؛ الْعَيْنُ وَالطَّاءُ وَاللَّامُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَىٰ خُلُوٍّ وَفَرَاغٍ. وَمَتَىٰ تُرِكَتِ الْإِبِلُ بِلَا رَاعٍ فَقَدْ عُطِّلَتْ[(٢)].

يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: وَإِذَا هَذِهِ الْحَوَامِلُ الَّتِي يَتَنَافَسُ أَهْلُهَا فِيهَا أُهْمِلَتْ فَتُرِكَتْ، مِنْ شِدَّةِ

الْهَوْلِ النَّازِلِ بِهِمْ، فَكَيْفَ بِغَيْرِهَا؟!، وَهَذِهِ الْعِشَارُ أَنْفَسُ أَمْوَالِ الْعَرَبِ، فَلَا يُعَطِّلُونَهَا، إِلَّا لِإِتْيَانِ مَا يَشْغَلُهُمْ عَنْهَا.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَهْمَلَهَا أَهْلُهَا لِمَا جَاءَهُمْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَىٰ الْعَرَبِ مِنَ النُّوقِ الْحَوَامِلِ، وَخُوطِبَ الْعَرَبُ بِأَمْرِ الْعِشَارِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَالِهَا وَعَيْشِهَا مِنَ الْإِبِلِ، وَالْغَرَضُ مِنْ ذَلِكَ ذَهَابُ الْأَمْوَالِ وَبُطْلَانُ الْأَمْلَاكِ، وَاشْتِغَالُ النَّاسِ بِأَنْفُسِهِمْ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: سَيَّبَهَا أَهْلُهَا فَلَمْ تُصَرَّ، وَلَمْ تُحْلَبْ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا مَالٌ أَعْجَبَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا[(٣)].

---

(١) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٥٦٧)

(٢) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٤/ ٣٥١)

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٥) «زَادُ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (٤/ ٤٠٦) «التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ» (٢٣/ ٢٢٧) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ» (٣١/ ٦٤)





﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾

(وَحَشَ) الْوَاوُ وَالْحَاءُ وَالشِّينُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ خِلَافِ الْإِنْسِ، وَتُسَمَّىٰ الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي لَا أَنَسَ لَهَا بِالْإِنْسِ وَحْشًا، وَيَشْمَلُ هَذَا كُلَّ دَوَابِّ الْأَرْضِ مِمَّا لَا يُسْتَأْنَسُ(١).

(حَشَرَ) الْحَاءُ وَالشِّينُ وَالرَّاءُ: الْجَمْعُ مَعَ سَوْقٍ، وَكُلُّ جَمْعٍ حَشْرٌ(٢)

وَقَوْلُهُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ تَأْوِيلَاتٍ:

أَحَدُهَا: جُمِعَتْ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْخَلَائِقَ مُوَافِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقْضِي اللَّهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ(٣).

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ حُشِرَتْ: جُمِعَتْ، فَأُمِيتَتْ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ مَعْنَىٰ الْحَشْرِ: الْجَمْعُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ [سُورَةُ صٓ: ١٩] يَعْنِي: مَجْمُوعَةً. وَقَوْلُهُ: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ [النَّازِعَاتِ: ٢٣] وَإِنَّمَا يُحْمَلُ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ عَلَىٰ الْأَغْلَبِ الظَّاهِرِ مِنْ تَأْوِيلِهِ، لَا عَلَىٰ الْأَنْكَرِ الْمَجْهُولِ(٤).

وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ: وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ(٥).

---

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٦/ ٩١) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٨٥٨) (التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ ٢٣/ ٢٢٧).

(٢) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٢/ ٦٦)

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٦)

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٧)

(٥) (التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ ٢٣/ ٢٢٩)



الثَّانِي: اخْتَلَطَتْ، قَالَهُ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، فَصَارَتْ بَيْنَ النَّاسِ(١).

الثَّالِثُ: حُشِرَتْ إِلَىٰ الْقِيَامَةِ لِلْقَضَاءِ فَيُقْتَصُّ لِلْجَمَّاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ، قَالَهُ السُّدِّيُّ(٢).

الرَّابِعُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾؛ قَالَ: حَشْرُ الْبَهَائِمِ: مَوْتُهَا، وَحَشْرُ كُلِّ شَيْءٍ: الْمَوْتُ، غَيْرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ؛ فَإِنَّهُمَا يُوقَفَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(٣).

وَعَادَةُ الْوُحُوشِ أَنَّهَا تَنْفِرُ مِنَ الْإِنْسِ، تَغَيَّرَتِ الْأُمُورُ حَتَّىٰ صَارَتْ الْوُحُوشُ الَّتِي تَشْرُدُ تَجْتَمِعُ مَعَ النَّاسِ(٤).

وَهَذِهِ الْأَقْوَالُ مُتَقَارِبَةٌ، فَتُجْمَعُ الْوُحُوشُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا اجْتَمَعَتِ اخْتَلَطَتْ، ثُمَّ يُقْضَىٰ بَيْنَهَا.

الْأَدِلَّةُ عَلَىٰ حَشْرِ الْوُحُوشِ:

الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥﴾ [التَّكْوِير: ٥].

الثَّانِي: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨].

الثَّالِثُ: حَدِيثُ مَانِعِ صَدَقَةِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَأَنَّهَا: «**تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْظَمَ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنَهُ، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا**»(٥).

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٦)

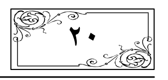
(٢) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٢١٣)

(٣) صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ «الْمُسْتَدْرَكُ عَلَىٰ الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ» (٢/ ٥٦٠) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ١٣٦)

(٤) «تَفْسِيرُ ابْنِ فُورَكَ» (٣/ ١٥٧)

(٥) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٢/ ٦٨١)





الرَّابِعُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»(١)

الْخَامِسُ: حَدِيثُ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ شَاتَيْنِ تَنْتَطِحَانِ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي فِيمَ تَنْتَطِحَانِ**»؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «**لَكِنَّ اللَّهَ يَدْرِي، وَسَيَقْضِي بَيْنَهُمَا**»(٢).

السَّادِسُ: الْآثَارُ الْوَارِدَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾﴾ [النَّبَإِ: ٤٠]، وَأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَىٰ- يَجْمَعُ الْوُحُوشَ، ثُمَّ يَقْتَصُّ مِنْ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ، ثُمَّ يَقُولُ لَهَا: كُونِي تُرَابًا، فَتَكُونُ تُرَابًا، فَعِنْدَهَا يَقُولُ الْكَافِرُ: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾(٣).

وَحَشْرُ الْحَيَوَانَاتِ لِلتَّأْكِيدِ أَنَّ عَدْلَهُ -سُبْحَانَهُ- يَعُمُّ كُلَّ الْخَلَائِقِ حَتَّىٰ الْحَيَوَانَاتِ.

وَأَمَّا بَاقِي الْخَلَائِقِ؛ فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الْكَهْفِ: ٤٧]

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ وَهِيَ كَقَوْلِ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطُّورِ: ٦]

مَعْنَىٰ كَلِمَةِ سَجْرٍ:

(سَجَرَ) السِّينُ وَالْجِيمُ وَالرَّاءُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: الْمَلْءُ، وَالْمُخَالَطَةُ، وَالْإِيقَادُ. فَأَمَّا الْمَلْءُ، فَمِنْهُ: الْبَحْرُ الْمَسْجُورُ، أَيِ: الْمَمْلُوءُ(٤).

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٤/ ١٩٩٧)
(٢) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ» (٣٥/ ٣٤٥ ط الرِّسَالَةُ)
(٣) أُنْظُرْ «بَدَائِعُ الْفَوَائِدِ ط عَالِمُ الْفَوَائِدِ» (٣/ ١١٣٢)
(٤) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٣/ ١٣٤)



السَّجْرُ: تَهْيِيجُ النَّارِ، يُقَالُ: سَجَرْتُ التَّنُّورَ، وَمِنْهُ: وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ[١].

وَفِي قَوْلِهِ ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ ثَمَانِيَةُ تَأْوِيلَاتٍ:

- أَحَدُهَا: فَاضَتْ، قَالَهُ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ[٢].

- الثَّانِي: يَبِسَتْ، قَالَهُ الْحَسَنُ[٣].

- الثَّالِثُ: مُلِئَتْ، أُرْسِلَ عَذْبُهَا عَلَىٰ مَالِحِهَا، وَمَالِحُهَا عَلَىٰ عَذْبِهَا حَتَّىٰ امْتَلَأَتْ، قَالَهُ الْكَلْبِيُّ[٤].

- الرَّابِعُ: فُجِّرَتْ فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا، قَالَهُ الضَّحَّاكُ وَالْفَرَّاءُ[٥]. فَبَيْنَ الْبِحَارِ حَاجِزٌ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرَّحْمَٰن: ١٩-٢٠]، فَإِذَا رَفَعَ اللَّهُ ذَلِكَ الْحَاجِزَ فَاضَ الْبَعْضُ فِي الْبَعْضِ، وَصَارَتِ الْبِحَارُ بَحْرًا وَاحِدًا[٦].

- الْخَامِسُ: سُيِّرَتْ كَمَا سُيِّرَتِ الْجِبَالُ، قَالَهُ السُّدِّيُّ.

- السَّادِسُ: هُوَ حُمْرَةُ مَائِهَا حَتَّىٰ تَصِيرَ كَالدَّمِ، مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَيْنٌ سَجْرَاءُ، أَيْ: حَمْرَاءُ.

- السَّابِعُ: قَالَ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قَالَ:

---

(١) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٣٩٧)

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٩)

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٠)

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٩)

(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٩) «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (٣/ ٢٣٩)

(٦) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ» (٣١/ ٦٥)





قَالَتِ الْجِنُّ لِلْإِنْسِ: نَحْنُ نَأْتِيكُمْ بِالْخَبَرِ؛ فَانْطَلَقُوا إِلَىٰ الْبِحَارِ، فَإِذَا هِيَ تَأَجَّجُ نَارًا[(١)].

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ: أَيْنَ جَهَنَّمُ؟ فَقَالَ: الْبَحْرُ، فَقَالَ: مَا أُرَاهُ إِلَّا صَادِقًا ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِرَتْ) مُخَفَّفَةً[(٢)].

وَعَنِ ابْنِ زَيْدٍ، قَالَ: إِنَّهَا تُوقَدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[(٣)].

- وَالثَّامِنُ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ جَعَلَ مَاءَهَا شَرَابًا يُعَذَّبُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ، حَكَاهُ ابْنُ عِيسَىٰ[(٤)].

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ؛ قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: مُلِئَتْ حَتَّىٰ فَاضَتْ، فَانْفَجَرَتْ وَسَالَتْ كَمَا وَصَفَهَا اللَّهُ بِهِ فِي الْمَوْضِعِ الْآخَرِ، فَقَالَ: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلنَّهْرِ أَوْ لِلرَّكِيِّ الْمَمْلُوءِ: مَاءٌ مَسْجُورٌ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ لَبِيدٍ:

فَتَوَسَّطَا عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِرًا قُلَّامُهَا

وَيَعْنِي بِالْمَسْجُورَةِ: الْمَمْلُوءَةَ مَاءً[(٥)].

وَفِي قَوْلِهِ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ أَرْبَعَةُ تَأْوِيلَاتٍ:

أَحَدُهَا: يَعْنِي عُمِلَ بِهِنَّ عَمَلٌ مِثْلُ عَمَلِهَا؛ فَيُحْشَرُ الْعَامِلُ بِالْخَيْرِ مَعَ

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٩)
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٨)
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٣٨)
(٤) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٢١٣)
(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٠)



الْعَامِلِ بِالْخَيْرِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَيُحْشَرُ الْعَامِلُ بِالشَّرِّ مَعَ الْعَامِلِ بِالشَّرِّ إِلَىٰ النَّارِ. وَفِي الْآيَةِ تَحْذِيرٌ مِنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ(١).

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «هُمَا الرَّجُلَانِ يَعْمَلَانِ الْعَمَلَ يَدْخُلَانِ بِهِ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ؛ الْفَاجِرُ مَعَ الْفَاجِرِ، وَالصَّالِحُ مَعَ الصَّالِحِ»(٢).

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سُئِلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عَنْ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾؛ قَالَ: يُقْرَنُ بَيْنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، وَبَيْنَ الرَّجُلِ السُّوءِ مَعَ الرَّجُلِ السُّوءِ فِي النَّارِ(٣).

وَقَالَ الْحَسَنُ: أُلْحِقَ كُلُّ امْرِئٍ بِشِيعَتِهِ،(٤) فَأُلْحِقَ الْيَهُودِيُّ مَعَ الْيَهُودِ، وَالنَّصْرَانِيُّ مَعَ النَّصَارَىٰ، وَالْمُسْلِمُ مَعَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْأَمْثَالُ مِنَ النَّاسِ جُمِعَ بَيْنَهُمْ(٥).

وَرَجَّحَ الطَّبَرِيُّ هَذَا الْقَوْلَ، وَذَلِكَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً﴾ [الواقعة: ٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢] وَذَلِكَ لَا شَكَّ: الْأَمْثَالُ وَالْأَشْكَالُ، فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] بِالْقُرَنَاءِ وَالْأَمْثَالِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ(٦).

---

(١) «تَفْسِيرُ التُّسْتَرِيِّ» (ص١٨٧)

(٢) صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، «الْمُسْتَدْرَكُ عَلَىٰ الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ» (٢/ ٥٦٠) (الطَّبَرِيُّ، ٢٤/ ١٤١)

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٢)

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٣)

(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٣)

(٦) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٤)





وَيَشْهَدُ لِقَوْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[١]، وَقَوْلُهُ ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَىٰ الْعِبَادِ، فَمَنْ أَتَىٰ بِهَا فَلَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَلَّا يُدْخِلَهُ النَّارَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ حَشَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ**»[٢]؛ فَكُلُّ إِنْسَانٍ يُحْشَرُ مَعَ أَمْثَالِهِ، فَمَنْ شَغَلَهُ مَالُهُ فَهُوَ مَعَ قَارُونَ، وَمَنْ شَغَلَهُ مُلْكُهُ فَهُوَ مَعَ فِرْعَوْنَ، وَمَنْ شَغَلَتْهُ رِئَاسَةٌ وَوَزَارَةٌ فَهُوَ مَعَ هَامَانَ، وَمَنْ شَغَلَتْهُ تِجَارَتُهُ فَهُوَ مَعَ أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ.

الثَّانِي: مَعْنَاهُ: رُدَّتِ الْأَرْوَاحُ إِلَىٰ الْأَجْسَادِ، فَزُوِّجَتْ بِهَا، أَيْ: صَارَتْ لَهَا زَوْجًا، قَالَهُ عِكْرِمَةُ وَالشَّعْبِيُّ[٣].

الثَّالِثُ: أَنَّهُ قَرَنَ كُلَّ غَاوٍ بِمَنْ أَغْوَاهُ مِنْ شَيْطَانٍ أَوْ إِنْسَانٍ، حَكَاهُ ابْنُ عِيسَىٰ.

كَقَوْلِهِ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾.

الرَّابِعُ: زُوِّجَتْ، بِأَنْ أُضِيفَ إِلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ جَزَاءُ عَمَلِهَا، فَصَارَ لِاخْتِصَاصِهَا بِهِ كَالتَّزْوِيجِ[٤].

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: سَيَأْتِي أَوَّلُهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ، وَسَيَأْتِي آخِرُهَا إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ[٥].

---

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٨/ ٣٩) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٤/ ٢٠٣٤)

(٢) «صَحِيحُ ابْنُ حِبَّانَ» (٤/ ٣٢٩)

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٤)

(٤) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٢١٣)

(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٥)



وَفِي قَوْلِهِ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾

الْوَأْدُ: الْوَاوُ وَالْهَمْزَةُ وَالدَّالُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ إِثْقَالِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ، وَالْمَوْءُودَةُ تُدْفَنُ حَيَّةً[1].

وَسُمِّيَتْ مَوْءُودَةً لِلثِّقَلِ الَّذِي عَلَيْهَا مِنَ التُّرَابِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أَيْ: لَا يُثْقِلُهُ.

كَانَ الرَّجُلُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ بِنْتًا دَفَنَهَا حَيَّةً، إِمَّا خَوْفًا مِنَ السَّبْيِ وَالِاسْتِرْقَاقِ، وَإِمَّا خَشْيَةَ الْفَقْرِ وَالْإِمْلَاقِ، وَكَانَ ذَوُو الشَّرَفِ مِنْهُمْ يَمْتَنِعُونَ مِنْ هَذَا وَيَمْنَعُونَ مِنْهُ، حَتَّىٰ افْتَخَرَ الْفَرَزْدَقُ بِذَلِكَ، فَقَالَ عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ نَاجِيَةَ:

(وَمِنَّا الَّذِي مَنَعَ الْوَائِدَاتِ فَأَحْيَىٰ الْوَئِيدَ فَلَمْ تُوأَدِ)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا حَمَلَتْ، فَكَانَ أَوَانُ وِلَادِهَا؛ حَفَرَتْ حَفِيرَةً، فَتَمَخَّضَتْ عَلَىٰ رَأْسِ الْحَفِيرَةِ، فَإِنْ وَلَدَتْ جَارِيَةً رَمَتْ بِهَا فِي الْحَفِيرَةِ، وَإِنْ وَلَدَتْ غُلَامًا حَبَسَتْهُ[2].

وَقَالَ قَتَادَةُ: كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمُ ابْنَتَهُ، وَيَغْذُو كَلْبَهُ، فَعَابَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ[3].

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: كَانَتِ الْعَرَبُ مِنْ أَفْعَلِ النَّاسِ لِذَلِكَ[4].

---

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٦/ ٧٨)
(٢) «زَادُ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (٤/ ٤٠٧)
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٧)
(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٨)





📖 قَوْلِهُ -جَلَّ ذِكْرُهُ-: ﴿سُئِلَتْ﴾

اخْتُلِفَ: هَلْ هِيَ السَّائِلَةُ أَوِ الْمَسْئُولَةُ؟، عَلَىٰ قَوْلَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا هِيَ الْمَسْئُولَةُ، وَهُوَ قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، فَتَقُولُ: لَا ذَنْبَ لِي، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَبْلَغَ فِي تَوْبِيخِ قَاتِلِهَا وَزَجْرِهِ.

الثَّانِي: أَنَّهَا هِيَ السَّائِلَةُ لِقَاتِلِهَا: لَمَ قُتِلْتُ؟، فَلَا يَكُونُ لَهُ عُذْرٌ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ: وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سَأَلَتْ[1].

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَىٰ سُؤَالِهَا تَبْكِيتُ قَاتِلِهَا فِي الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ جَوَابَهَا: قُتِلْتُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ.

وَمِثْلُ هَذَا التَّبْكِيتِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾؛ فَإِنَّمَا سُؤَالُهُ وَجَوَابُهُ تَبْكِيتٌ لِمَنِ ادَّعَىٰ هَذَا عَلَيْهِ[2].

وَقِيلَ: سَأَلَتْ: طَلَبَتْ، كَمَا تَقُولُ: سَأَلْتُهُ حَقِّي[3].

📖 الْوَأْدُ:

تَعْرِيفُ الْوَأْدِ: هُوَ قَتْلُ الْأَوْلَادِ سَوَاءٌ كَانُوا ذُكُورًا أَوْ إِنَاثًا أَوْ غَيْرَهُمْ.

حُكْمُ الْوَأْدِ: وَهُوَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ، وَاعْتِرَاضٌ عَلَىٰ قَضَاءِ اللَّهِ ﷻ، وَسُوءُ ظَنٍّ فِيهِ، وَهُوَ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيَاطِينِ.

---

(١) «النُّكَتُ وَالْعُيُونُ، ٦/ ٢١٥) «تَفْسِيرُ الزَّمَخْشَرِيِّ = الْكَشَّافُ عَنْ حَقَائِقِ غَوَامِضِ التَّنْزِيلِ» (٤/ ٧٠٨)

(٢) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَاجِ» (٥/ ٢٩٠)

(٣) «زَادُ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (٤/ ٤٠٧) «التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ» (٢٣/ ٢٦٠)



أَدِلَّةُ تَحْرِيمِ الْوَأْدِ:

وَقَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التَّكْوِيرِ: ٨-٩]

قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ﴾ [الأَنْعَامِ: ١٥١] الْآيَة.

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأَنْعَامِ: ١٣٧]

وَوَصَفَ اللَّهُ فَاعِلَهُ بِالْخَاسِرِ، وَوَصَفَ فِعْلَهُ بِالسَّفَهِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأَنْعَامِ: ١٤٠]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَدْعُوَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ**» قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ**»؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ تَصْدِيقَهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفُرْقَانِ: ٦٨] الْآيَةُ[١]

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: «**رَأَيْتُ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ قَائِمًا مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ يَقُولُ: يَا مَعَاشِرَ قُرَيْشٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْكُمْ عَلَىٰ دِينِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرِي، وَكَانَ يُحْيِي الْمَوْءُودَةَ، يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ أَنْ**

---

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٩/ ٢) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١/ ٩١)



يَقْتُلَ ابْنَتَهُ: لَا تَقْتُلْهَا، أَنَا أَكْفِيكَ مئُونَتَهَا، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ دَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مئُونَتَهَا»[١].

بِدَايَةُ الْوَأْدِ فِي الْعَرَبِ:-

كَانَ الْوَأْدُ مُسْتَعْمَلًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ قَاطِبَةً، وَكَانَ يَسْتَعْمِلُهُ وَاحِدٌ وَيَتْرُكُهُ عَشَرَةٌ، فَجَاءَ الْإِسْلَامُ وَقَدْ قَلَّ ذَلِكَ فِيهَا إِلَّا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ؛ فَإِنَّهُ تَزَايَدَ فِيهِمْ ذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ مَنَعُوا الْمِلْكَ النُّعْمَانَ ضَرِيبَتَهُ، وَهِيَ الْإِتَاوَةُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ، فَجَرَّدَ إِلَيْهِمُ النُّعْمَانُ أَخَاهُ الرَّيَّانَ مَعَ دَوْسَرٍ، وَدَوْسَرٌ: إِحْدَىٰ كَتَائِبِهِ، وَكَانَ أَكْثَرُ رِجَالِهَا مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، فَاسْتَاقَ نَعَمَهُمْ وَسَبَىٰ ذَرَارِيَّهُمْ.

فَوَفَدَتْ وُفُودُ بَنِي تَمِيمٍ عَلَىٰ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ وَكَلَّمُوهُ فِي الذَّرَارِيِّ، فَحَكَمَ النُّعْمَانُ بِأَنْ يَجْعَلَ الْخِيَارَ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ النِّسَاءِ، فَأَيَّةُ امْرَأَةٍ اخْتَارَتْ زَوْجَهَا رُدَّتْ عَلَيْهِ، فَاخْتَلَفْنَ فِي الْخِيَارِ، وَكَانَ فِيهِنَّ بِنْتٌ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ، فَاخْتَارَتْ سَابِيَهَا عَلَىٰ زَوْجِهَا، فَنَذَرَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ أَنْ يَدُسَّ كُلَّ بِنْتٍ تُولَدُ لَهُ فِي التُّرَابِ، فَوَأَدَ بِضْعَ عَشْرَةَ بِنْتًا، وَبِصَنِيعِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ وَإِحْيَائِهِ هَذِهِ السُّنَّةَ نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي ذَمِّ وَأْدِ الْبَنَاتِ[٢].

وَيَدْخُلُ فِي الْوَأْدِ -أَيْضًا- قَتْلُ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ:

قَالَ الشَّافِعِيُّ: كَانَ بَعْضُ الْعَرَبِ تَقْتُلُ الْإِنَاثَ مِنْ وَلَدِهَا صِغَارًا خَوْفَ الْعَيْلَةِ عَلَيْهِم، وَالْعَارِ بِهِمْ، فَلَمَّا نَهَىٰ اللَّهُ -عَزَّ ذِكْرُهُ- عَنْ ذَلِكَ مِنْ

(١) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٥/ ٤١)

(٢) «مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ» (١/ ٤٢٥)



أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ؛ دَلَّ عَلَىٰ تَثْبِيتِ النَّهْيِ عَنْ قَتْلِ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ فِي دَارِ الْحَرْبِ، وَكَذَلِكَ دَلَّتْ عَلَيْهِ السُّنَّةُ مَعَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ مِنْ تَحْرِيمِ الْقَتْلِ بِغَيْرِ حَقٍّ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠] الْآيَةُ(١)

وَمِمَّا يَلْحَقُ بِالْوَأْدِ الْإِجْهَاضُ الَّذِي هُوَ دَاءُ الْعَصْرِ، إِذْ يُقَدَّرُ عَدَدُ حَالَاتِ الْإِجْهَاضِ السَّنَوِيَّةِ بِمَا يَزِيدُ عَلَىٰ خَمْسِينَ مِلْيُونِ حَالَةً.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: إِسْقَاطُ الْحَمْلِ حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ مِنَ الْوَأْدِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ وَقَدْ قَالَ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾(٢)، وَمَنْ تَعَمَّدَهُ عُوقِبَ عُقُوبَةً تَرْدَعُهُ(٣).

هَلِ الْعَزْلُ مِنَ الْوَأْدِ؟

أَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَىٰ عَدَمِ تَحْرِيمِ الْعَزْلِ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَقَدْ رَخَّصَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ فِي الْعَزْلِ(٤).

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي الْعَزْلِ عَنِ الْجَارِيَةِ؛ فَرَخَّصَ فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ: عَلِيٌّ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَأَيُّوبُ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَجَابِرٌ وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَخَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ وَابْنُ الْمُسَيَّبِ وَطَاوُوسٌ، وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَعُمَرَ وَعَلِيٍّ

(١) «الْأُمُّ لِلشَّافِعِيِّ» (٦/ ٣)
(٢) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ» (٣٤/ ١٦٠)
(٣) «مُخْتَصَرُ الْفَتَاوَىٰ الْمِصْرِيَّةِ» (ص٤٦٤)
(٤) «سُنَنُ التِّرْمِذِيِّ تِ بَشَّارٌ» (٢/ ٤٣٤)





-رِوَايَةً ثَانِيَةً- وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عُمَرَ؛ أَنَّهُمْ كَرِهُوا ذَلِكَ، وَنَقَلَ ابْنُ حَزْمٍ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْعَزْلِ؛ فَقَالَ: مَا كُنْتُ أَرَىٰ مُسْلِمًا يَفْعَلُهُ، وَعَنْ عُمَرَ وَعُثْمَانَ أَنَّهُمَا كَانَا يُنْكِرَانِ الْعَزْلَ، وَصَحَّ -أَيْضًا- عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدٍ وَطَاوُوسٍ. انْتَهَىٰ(١).

وَالْعَزْلُ بِرِضَىٰ الْحُرَّةِ جَائِزٌ عِنْدَ أَبِىٰ حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ، وَعِنْدَ ابْنِ حَزْمٍ يَحْرُمُ الْعَزْلُ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: الْمَنْعُ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الرُّويَانِيُّ فِي بَحْرِ الْمَذْهَبِ، وَكَرِهَهُ الْعِمْرَانِيُّ فِي الْبَيَانِ(٢).

وَقَالَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْمُقْرِئُ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ، حَدَّثَنِي أَبُو الْأَسْوَدِ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ جُدَامَةَ بِنْتِ وَهْبٍ، أُخْتِ عُكَّاشَةَ، قَالَتْ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْعَزْلِ؟ فَقَالَ: «**ذَلِكَ الْوَأْدُ الْخَفِيُّ**»، زَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ فِي حَدِيثِهِ: عَنِ الْمُقْرِئِ، وَهِيَ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾(٣).

وَعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «كُنَّا نَعزِلُ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْقُرْآنُ يَنْزِلُ»(٤)

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (ذُكِرَ الْعَزْلُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **لِمَ يَفْعَلُ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ؟، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ نَفْسٌ مَخْلُوقَةٌ إِلَّا اللَّهُ خَالِقُهَا**)(٥).

---

(١) «الْمُحَلَّىٰ بِالْآثَارِ» (٩/ ٢٢٢) «طَرْحُ التَّثْرِيبِ فِي شَرْحِ التَّقْرِيبِ» (٧/ ٦١)
(٢) «الْمَجْمُوعُ شَرْحُ الْمُهَذَّبِ» (١٦/ ٤٢٣)
(٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٢/ ١٠٦٧)
(٤) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٧/ ٣٣) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٢/ ١٠٦٥)
(٥) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٩/ ١٢١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٢/ ١٠٦٣)



وَفِي «فُنُونِ» ابْنِ عَقِيلٍ: اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي الْعَزْلِ، فَقَالَ قَوْمٌ: هُوَ الْمَوْءُودَةُ؛ لِأَنَّهُ يَقْطَعُ النَّسْلَ، فَأَنْكَرَ عَلِيٌّ ﵁ ذَلِكَ، وَقَالَ: إِنَّمَا الْمَوْءُودَةُ بَعْدَ التَّارَاتِ السَّبْعِ، وَتَلَا: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ﴾ إِلَىٰ: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المُؤْمِنُونَ: ١٤]، قَالَ: وَهَذَا مِنْهُ فِقْهٌ عَظِيمٌ، وَتَدْقِيقٌ حَسَنٌ؛ حَيْثُ سَمِعَ: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۞ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾. وَكَانَ يَقْرَأُ: «سَأَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ»، وَهُوَ الْأَشْبَهُ بِالْحَالِ، وَأَبْلَغُ فِي التَّوْبِيخِ، وَهَذَا لِمَا حَلَّتْهُ الرُّوحُ، لِأَنَّ مَا لَمْ تَحُلَّهُ الرُّوحُ لَا يُبْعَثُ(١).

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [سُورَةُ قٓ: ١٨] وَهُمَا مَلَكَانِ يَكْتُبَانِ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّىٰ الْأَنِينَ، فَإِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ طُوِيَتْ صَحِيفَتُهُ.

قَالَ قَتَادَةُ: صَحِيفَتُكَ يَا ابْنَ آدَمَ، تُمْلِي مَا فِيهَا، ثُمَّ تُطْوَىٰ، ثُمَّ تُنْشَرُ عَلَيْكَ(٢).

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَإِذَا صُحُفُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ نُشِرَتْ لَهُمْ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَطْوِيَّةً عَلَىٰ مَا فِيهَا مَكْتُوبٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ(٣).

وَقَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: يَعْنِي: صُحُفُ الْأَعْمَالِ إِذَا كَتَبَ الْمَلَائِكَةُ فِيهَا مَا فَعَلَ أَهْلُهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ؛ تُطْوَىٰ بِالْمَوْتِ، وَتُنْشَرُ فِي الْقِيَامَةِ، فَيَقِفُ كُلُّ

(١) «الْفُرُوعُ وَتَصْحِيحُ الْفُرُوعِ» (١/ ٣٩٣)
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٨)
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٨)





إِنْسَانٍ عَلَىٰ صَحِيفَتِهِ فَيَعْلَمُ مَا فِيهَا فَيَقُولُ: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾. وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ بِتَشْدِيدِ «نُشِّرَتْ» عَلَىٰ تَكْرَارِ النَّشْرِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ عَلَىٰ نَشْرِهَا مَرَّةً وَاحِدَةً؛ فَإِنْ حُمِلَ عَلَىٰ الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ فَلِقِيَامِ الْحُجَّةِ بِهَا، وَإِنْ حُمِلَ عَلَىٰ التَّكْرَارِ؛ فَفِيهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: لِلْمُبَالَغَةِ فِي تَقْرِيعِ الْعَاصِي وَتَبْشِيرِ الْمُطِيعِ.

الثَّانِي: لِتَكْرِيرِ ذَلِكَ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالْمَلَائِكَةِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ(١).

وَقَالَ الضَّحَّاكُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ﴾ «يُعْطَىٰ كُلُّ إِنْسَانٍ صَحِيفَتَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ»، وَيُقَالُ لَهُ: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبًا﴾ [الإِسرَاءِ: ١٤].

وَنَشْرُهَا يُفِيدُ كَشْفَهَا وَمَعْرِفَتَهَا، وَهَذِهِ الْعَلَنِيَّةُ أَشَدُّ عَلَىٰ النُّفُوسِ وَأَنْكَىٰ، فَكَمْ مِنْ سَوْأَةٍ مَسْتُورَةٍ يَخْجَلُ صَاحِبُهَا ذَاتُهُ مِنْ ذِكْرَاهَا، وَيَرْجُفُ وَيَذُوبُ مِنْ كَشْفِهَا!، ثُمَّ إِذَا هِيَ جَمِيعُهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَنْشُورَةٌ مَشْهُودَةٌ! إِنَّ هَذَا النَّشْرَ وَالْكَشْفَ لَوْنٌ مِنْ أَلْوَانِ الْهَوْلِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، كَمَا أَنَّهُ سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ الِانْقِلَابِ؛ حَيْثُ يُكْشَفُ الْمَخْبُوءُ، وَيَظْهَرُ الْمَسْتُورُ، وَيَفْتَضِحُ الْمَكْنُونُ فِي الصُّدُورِ(٢).

(١) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٢١٥)

(٢) «فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ» (٦/ ٨٣٠)



﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾

(كَشَطَ): الْكَافُ وَالشِّينُ وَالطَّاءُ: كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَىٰ تَنْحِيَةِ الشَّيْءِ وَكَشْفِهِ. يُقَالُ: كَشَطَ الْجِلْدَ عَنِ الذَّبِيحَةِ[1].

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: كُشِطَتْ كَمَا يُكْشَطُ الْغِطَاءُ عَنِ الشَّيْءِ، فَطُوِيَتْ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَىٰ كُشِطَتْ وَقُشِطَتْ: قُلِعَتْ كَمَا يُقْلَعُ السَّقْفُ[2].

وقال الفرّاء: يعني نُزِعَتْ، فطُوِيَتْ[3]. كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ﴾

وَانْظُرْ لِهَذِهِ الْأَقْوَالِ النُّكَتَ وَالْعُيُونَ[4].

وَقَالَ: الْقَشْطُ وَالْكَشْطُ: بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَذَلِكَ تَحْوِيلٌ مِنَ الْعَرَبِ الْكَافَ قَافًا؛ لِتَقَارُبِ مَخْرَجَيْهِمَا، كَمَا قِيلَ لِلْكَافُورِ: قَافُورٌ، وَلِلْقِسْطِ: كِسْطٌ، وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِمْ، إِذَا تَقَارَبَ مَخْرَجُ الْحَرْفَيْنِ: أَبْدَلُوا مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ[5].

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: «الْكَشْطُ»: التَّقْشِيرُ، وَذَلِكَ كَمَا يُكْشَطُ جِلْدُ الشَّاةِ حِينَ تُسْلَخُ، وَ«كَشْطُ السَّمَاءِ»: هُوَ طَيُّهَا كَطَيِّ السِّجِلِّ[6].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: جُذِبَتْ[7].

---

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٥/ ١٨٤)

(٢) «مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ لِلزَّجَّاجِ» (٥/ ٢٩١) «تَهْذِيبُ اللُّغَةِ» (١٠/ ٧)

(٣) «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (٣/ ٢٤١)

(٤) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٢١٥)

(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٩)

(٦) «تَفْسِيرُ ابْنُ عَطِيَّةَ = الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ» (٥/ ٤٤٣)

(٧) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ الْبَيَانِ، ط. هَجَرُ» (٢٤/ ١٤٩)





وَقَالَ الضَّحَّاكُ: تَنْكَشِطُ فَتَذْهَبُ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾[1].

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: وَإِذَا السَّمَاءُ نُزِعَتْ وَجُذِبَتْ، ثُمَّ طُوِيَتْ[2].

وَالْمَعْنَىٰ الَّذِي تَدُورُ حَوْلَهُ هَذِهِ الْأَقْوَالُ: زَوَالُ السَّمَاءِ مِنْ مَكَانِهَا.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَإِذَا الْجَحِيمُ أُوقِدَ عَلَيْهَا فَأُحْمِيَتْ.

(سَعَرَ) النَّارَ وَالْحَرْبَ: هَيَّجَهَا وَأَلْهَبَهَا[3].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النِّسَاءِ: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التَّكْوِيرِ: ١٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلْكِ: ٥] وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ تَأْوِيلَاتٍ:

- أَحَدُهَا: أُحْمِيَتْ، قَالَهُ السُّدِّيُّ.

- الثَّانِي: أُوْقِدَتْ، قَالَهُ مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ.

- الثَّالِثُ: عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَعَّرَهَا غَضَبُ اللَّهِ، وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ[4].

وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ تَسْعِيرَ جَهَنَّمَ، حَيْثُ سُعِّرَتْ، إِنَّمَا سُعِّرَتْ بِخَطَايَا

(١) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٢١٥)

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٤٩)

(٣) «مُخْتَارُ الصَّحَاحِ» (ص١٤٨) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٤١١)

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٥٠) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٢١٥)



بَنِي آدَمَ الَّتِي تَقْتَضِي غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَتَزْدَادُ جَهَنَّمُ حِينَئِذٍ تَلَهُّبًا وَتَسَعُّرًا.

هَذَا، وَكَمَا أَنَّ بِنَاءَ دُوْرِ الْجَنَّةِ وَغَرْسَ الْأَشْجَارِ يَحْصُلُ بِأَعْمَالِ بَنِي آدَمَ الصَّالِحَةِ مِنَ الذِّكْرِ وَغَيْرِهِ، وَكَذَلِكَ حُسْنُ مَا فِيهَا مِنَ الزَّوْجَاتِ وَغَيْرِهِنَّ؛ يَتَزَايَدُ بِتَحْسِينِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَكَذَلِكَ جَهَنَّمُ، تُسَعَّرُ وَتَزْدَادُ آلَاتُ الْعَذَابِ فِيهَا، بِكَثْرَةِ ذُنُوبِ بَنِي آدَمَ وَخَطَايَاهُمْ وَغَضَبِ الرَّبِّ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَمِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ(١).

وَجَائِزٌ أَنْ يُرَادَ مِنَ التَّسْجِيرِ وَالتَّسْعِيرِ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْ قَبْلُ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾، وَقَدْ كَانَ وَقُودُهَا بِغَيْرِ هَذَيْنِ، ثُمَّ يُزَادُ فِي وَقُودِهَا بِالنَّاسِ وَالْحِجَارَةِ(٢).

وَلَكِنَّ هَذَا لَا يَمْنَعُ مِنْ كَوْنِهَا تُسْعَّرُ فِي كُلِّ يَوْمٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ فَأَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّىٰ تَمِيلَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ تُسَعَّرُ جَهَنَّمُ(٣).

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾

(زَلَفَ) الزَّاءُ وَاللَّامُ وَالْفَاءُ يَدُلُّ عَلَىٰ انْدِفَاعٍ وَتَقَدُّمٍ فِي قُرْبٍ إِلَىٰ شَيْءٍ(٤). وَسُمِّيَتِ الْمُزْدَلِفَةُ بِذَلِكَ؛ لِقُرْبِهَا مِنْ عَرَفَاتٍ.

---

(١) «التَّخْوِيفُ مِنَ النَّارِ وَالتَّعْرِيفُ بِحَالِ دَارِ الْبَوَارِ» (ص١٠٣)
(٢) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٣٣)
(٣) «صَحِيحُ ابْنِ خُزَيْمَةَ ط ٣» (١/ ٦٢٨)
(٤) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٣/ ٢١)





يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَإِذَا الْجَنَّةُ قُرِّبَتْ وَأُدْنِيَتْ لِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ مِنَ الْمُتَّقِينَ، وَاللَّفْظُ كَأَنَّمَا يُزَحْلِقُ الْأَقْدَامَ بِيُسْرٍ إِلَيْهَا(١)

أُضِيفَ إِلَيْهَا التَّقْرِيبُ؛ لِأَنَّ أَهْلَهَا إِذَا قَرُبُوا إِلَيْهَا فَقَدْ قَرُبَتْ هِيَ إِلَيْهِمْ(٢).

وَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾: إِلَىٰ هَذَيْنِ مَا جَرَىٰ الْحَدِيثُ: فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ. يَعْنِي الرَّبِيعُ بِقَوْلِهِ: إِلَىٰ هَذَيْنِ مَا جَرَىٰ الْحَدِيثُ: أَنَّ ابْتِدَاءَ الْخَبَرِ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ إِنَّمَا عُدِّدَتِ الْأُمُورُ الْكَائِنَةُ الَّتِي نِهَايَتُهَا أَحَدُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ، وَذَلِكَ الْمَصِيرُ إِمَّا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ(٣).

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ كَقَوْلِهِ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠]

وَقَالَ الْحَسَنُ وَالطَّبَرِيُّ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قَسَمٌ وَقَعَ عَلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾(٤).

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَمَامَهُ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ؛ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»(٥).

---

(١) «فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ»(٦/ ٨٣١)

(٢) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٣٣)

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٥١)

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٥٢) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٢١٥)

(٥) «صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ» (٩/ ١٤٨) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٢/ ٧٠٣)





وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: عَلِمَتْ نَفْسٌ عِنْدَ ذَلِكَ مَا أَحَضَرَتْ مِنْ خَيْرٍ، فَتَصِيرُ بِهِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، أَوْ شَرٍّ فَتَصِيرُ بِهِ إِلَىٰ النَّارِ، يَقُولُ: يَتَبَيَّنُ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ مَا كَانَ جَاهِلًا بِهِ، وَمَا الَّذِي كَانَ فِيهِ صَلَاحُهُ مِنْ غَيْرِهِ[1].



(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٥١)





﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

الْأَشْيَاءُ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الْقَسَمُ تَقْتَضِي أَحْكَامًا ثَلَاثَةً.

أَحَدُهَا: مَا مِنْ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ -تَعَالَىٰ- إِلَّا وَفِيهِ دَلِيلُ وَحْدَانِيَّتِهِ، وَآيَةُ رُبُوبِيَّتِهِ، إِذَا أُنْعِمَ النَّظَرُ فِيهِ، وَيُثْبِتُ عِلْمَهُ وَحِكْمَتَهُ، وَيَدُلُّ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَفِي تَثْبِيتِ الْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ إِيجَابُ الْقَوْلِ بِالْبَعْثِ، وَإِيجَابُ الْقَوْلِ بِالرُّسُلِ، وَنَهْيٌ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ، فَلَوْ أَمْعَنُوا النَّظَرَ فِيهَا وَتَفَكَّرُوا فِي أَمْرِهَا؛ لَأَدَّاهُمْ ذَلِكَ إِلَىٰ الْقَوْلِ بِالْبَعْثِ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ الرَّبِّ وَالْإِقْرَارِ بِالرُّسُلِ؛ فَلَا يَدَّعُونَ أَنَّ مَعَهُ آلِهَةً أُخْرَىٰ، وَلَا كَانُوا يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ، وَلَا يُكَذِّبُونَ الرَّسُولَ؛ فَأَقْسَمَ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَىٰ التَّأْكِيدِ لِحُجَجِهِ؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِهِ، أَوْ أَنَّ الْقُرْآنَ مِنْ عِنْدِهِ، أَوْ أَنَّ الْأَوَامِرَ مِنْ عِنْدِهِ.

أَوْ يَكُونُ الْقَسَمُ تَلْقِينًا مِن اللَّهِ -تَعَالَىٰ- لِرَسُولِهِ بِأَنْ يُقْسِمَ لَهُمْ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ؛ لِيُزِيلَ عَنْهُمْ الشُّبَهَ وَالشُّكُوكَ الَّتِي اعْتَرَضَتْ لِلْكَفَرَةِ فِي أَمْرِهِ عليه السلام، وَيَدْعُوهُمْ إِلَىٰ النَّظَرِ فِي حُجَجِهِ وَآيَاتِهِ.



ثُمَّ الْقَسَمُ بِمَا لَطُفَ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَدَقَّ، وَبِمَا كَثُفَ وَغَلُظَ، وَبِمَا كَبُرَ وَصَغُرَ، وَبِمَا ظَهَرَ وَخَفِيَ؛ تَتَّفِقُ كُلُّهَا فِي إِزَالَةِ الشُّبْهَةِ وَإِثْبَاتِ التَّوْحِيدِ وَالرِّسَالَةِ وَالْبَعْثِ، بَلِ الْأُعْجُوبَةُ فِيمَا لَطُفَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَعْظَمُ مِنْهَا فِيمَا كَثُفَ وَغَلُظَ، فَأَقْسَمَ مَرَّةً بِالْكَوَاكِبِ، وَمَرَّةً بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ وَمَا يَضْحَىٰ، وَبِمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ؛ إِذِ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا -فِي الشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ وَإِثْبَاتِ رُبُوبِيَّتِهِ وَإِثْبَاتِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ- مُتَّفِقَةٌ، وَلِأَنَّ مَا لَطُفَ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَخَفِيَ مِنْهَا يَتَّصِلُ بِمَا ظَهَرَ مِنْهَا، فَيَتَضَمَّنُ ذِكْرُ مَا خَفِيَ مِنْهَا وَاسْتَتَرَ ذِكْرَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَفِي ذِكْرِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ذِكْرُ مُنْشِئِهَا[١].

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾﴾

الْخَنْسُ: الْخَاءُ وَالنُّونُ وَالسِّينُ أَصْلٌ وَاحِدٌ؛ يَدُلُّ عَلَىٰ اسْتِخْفَاءٍ وَانْقِبَاضٍ وَتَسَتُّرٍ، وَالْخَنْسُ: الذَّهَابُ فِي خِفْيَةٍ. يُقَالُ: خَنِسْتُ عَنْهُ.

وَالْخُنَّسُ: النُّجُومُ، تَخْنِسُ فِي الْمَغِيبِ. وَقَالَ قَوْمٌ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَخْفَىٰ نَهَارًا وَتَطْلُعُ لَيْلًا. وَالْخَنَّاسُ فِي صِفَةِ الشَّيْطَانِ: لِأَنَّهُ يَخْنِسُ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ. وَالْبَقَرُ كُلُّهَا خُنْسٌ.

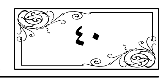
وَالْخُنَّسُ: الْكَوَاكِبُ الْخَمْسَةُ الَّتِي تَجْرِي وَتَخْنُسُ فِي مَجْرَاهَا حَتَّىٰ يَخْفَىٰ ضَوْءُ الشَّمْسِ، وَخُنُوسُهَا: اخْتِفَاؤُهَا بِالنَّهَارِ[٢].

---

(١) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٣٤)

(٢) «الْعَيْنُ» (٤/ ١٩٩) «مُجْمَلُ اللُّغَةِ لِابْنِ فَارِسٍ» (ص٣٠٤) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٢/ ٢٢٣)





﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ **فِيهَا خَمْسَةُ أَقْوَالٍ:**

أَحَدُهَا: النُّجُومُ، قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ[١] وَمُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ[٢] وَقَتَادَةُ[٣]، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: النُّجُومُ الْخُنَّسُ، إِنَّهَا تَخْنِسُ: تَتَأَخَّرُ عَنْ مَطْلَعِهَا، هِيَ تَتَأَخَّرُ كُلَّ عَامٍ، لَهَا فِي كُلِّ عَامٍ تَأَخُّرٌ عَنْ تَعْجِيلِ ذَلِكَ الطُّلُوعِ تَخْنِسُ عَنْهُ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: الْكَوَاكِبُ[٤]

وَنَقَلَ الْأَزْهَرِيُّ وَالْوَاحِدِيُّ وَابْنُ الْجَوْزِيِّ، عَنْ أَكْثَرِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ فِي تَفْسِيرِ ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾: إِنَّهَا النُّجُومُ[٥] وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَالْأَصَحُّ الْحَمْلُ عَلَىٰ النُّجُومِ؛ لِذِكْرِ اللَّيْلِ وَالصُّبْحِ بَعْدَ هَذَا، فَذِكْرُ النُّجُومِ أَلْيَقُ بِذَلِكَ[٦].

وَفِي تَفْسِيرِ «مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ» رَجَّحَ أَنَّهَا النُّجُومُ، وَقَالَ: وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ أَمْرَانِ:

- الْأَوَّلُ: أَنَّهُ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾، وَهَذَا بِالنُّجُومِ أَلْيَقُ مِنْهُ بِبَقَرِ الْوَحْشِ.

- الثَّانِي: أَنَّ مَحَلَّ قَسَمِ اللَّهِ كُلَّمَا كَانَ أَعْظَمَ وَأَعْلَىٰ رُتْبَةً كَانَ أَوْلَىٰ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْكَوَاكِبَ أَعْلَىٰ رُتْبَةً مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ[٧].

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٥٢)

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٥٣)

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٥٤)

(٤) «الْمُسْتَدْرَكُ عَلَىٰ الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ» (٢/ ٥٦١)

(٥) «تَهْذِيبُ اللُّغَةِ» (٧/ ٨١) (الْبَسِيطُ ٢٣/ ٢٣٨) (زَادُ الْمَسِيرِ ص١٥٢٠)

(٦) «تَفْسِيرُ الْقُرْطُبِيِّ» (١٩/ ٢٣٧)

(٧) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ» (٣١/ ٦٨)



وَالثَّانِي: أَنَّهَا بَقَرُ الْوَحْشِ، قَالَهُ ابْنُ مَسْعُودٍ(١).

وَالثَّالِثُ: الظِّبَاءُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ(٢)، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ(٣).

وَالرَّابِعُ: الْمَلَائِكَةُ، حَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَإِنَّمَا سَمَّاهَا خُنَّسًا؛ لِأَنَّهَا تَسِيرُ فِي الْبُرُوجِ وَالْمَنَازِلِ، كَسَيْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، ثُمَّ تَخْنِسُ، أَيْ: تَرْجِعُ، بَيْنَمَا يُرَىٰ أَحَدُهَا فِي آخِرِ الْبُرُوجِ كَرَّ رَاجِعًا إِلَىٰ أَوَّلِهِ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: تَخَنَّسَ، أَيْ: تَغَيَّبَ، وَإِذَا كَانَ الْمُرَادُ الظِّبَاءَ فَهِيَ تَدْخُلُ الْكُنَّاسَ، وَهُوَ الْغُصْنُ مِنْ أَغْصَانِ الشَّجَرِ.

﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾

﴿الْجَوَارِ﴾: تَجْرِي.

(كَنَسَ) الْكَافُ وَالنُّونُ وَالسِّينُ: أَصْلَانِ صَحِيحَانِ:-

أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَىٰ كَشْفِ شَيْءٍ عَنْ وَجْهِ شَيْءٍ. وَالْأَصْلُ الْآخَرُ يَدُلُّ عَلَىٰ اسْتِخْفَاءٍ.

فَالْأَوَّلُ: كَنْسُ الْبَيْتِ، وَهُوَ كَشْفُ التُّرَابِ عَنْ وَجْهِ أَرْضِهِ.

وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: الْكِنَاسُ: بَيْتُ الظَّبْيِ. وَالْكَانِسُ: الظَّبْيُ يَدْخُلُ كِنَاسَهُ.

(١) صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ «الْمُسْتَدْرَكُ عَلَىٰ الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ» (٢/ ٥٦٠)
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٥٧)
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٥٧)





وَالْكُنَّسُ: الْكَوَاكِبُ تَكْنِسُ فِي بُرُوجِهَا كَمَا تَدْخُلُ الظِّبَاءُ فِي كِنَاسِهَا. قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: تَكْنِسُ فِي الْمَغِيبِ[١].

قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: وَالْكُنَّسُ، الْغُيَّبُ، مَأْخُوذٌ مِنَ الْكُنَّاسِ، وَهُوَ كُنَّاسُ الْوَحْشِ الَّتِي تَخْتَفِي فِيهِ[٢].

وَالْكُنَّسُ: تَكْنِسُ بِالنَّهَارِ فَلَا تُرَىٰ.

وَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ: وَأَصْلُ الْخَنْسِ: الرُّجُوعُ إِلَىٰ وَرَاءٍ، وَالْكُنُوسُ: أَنْ تَأْوِيَ إِلَىٰ مَكَانِسِهَا، وَهِيَ الْمَوَاضِعُ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا الْوُحُوشُ[٣].

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَإِنَّمَا كُنَّسًا؛ لِأَنَّهَا تُكْنَسُ، أَيْ: تَسِيرُ كَمَا تُكْنَسُ الظِّبَاءُ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: تَكْنَسُ: تَدْخُلُ فِي كُنَاسِهَا، أَيْ: تَغِيبُ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَغِيبُ فِيهَا.

وَرَجَّحَ الطَّبَرِيُّ الْعُمُومَ؛ فَقَالَ: أَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- أَقْسَمَ بِأَشْيَاءَ تَخْنِسُ أَحْيَانًا: أَيْ: تَغِيبُ، وَتَجْرِي أَحْيَانًا، وَتَكْنِسُ أُخْرَىٰ، وَكُنُوسُهَا: أَنْ تَأْوِيَ فِي مَكَانِسِهَا، وَالْمَكَانِسُ عِنْدَ الْعَرَبِ: هِيَ الْمَوَاضِعُ الَّتِي تَأْوِي إِلَيْهَا بَقَرُ الْوَحْشِ وَالظِّبَاءُ، وَاحِدُهَا: مَكْنَسٌ وَكِنَاسٌ، كَمَا قَالَ الْأَعْشَىٰ:

فَلَمَّا لَحِقْنَا الْحَيَّ أَتْلَعَ أُنَّسٌ … كَمَا أَتْلَعَتْ تَحْتَ الْمَكَانِسِ رَبْرَبُ

فَهَذِهِ جَمْعُ مَكْنَسٍ.

---

(١) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (٥/ ١٤١)

(٢) (النُّكَتُ وَالْعُيُونُ، ٦/ ٢١٧)

(٣) «تَفْسِيرُ الثَّعْلَبِيِّ = الْكَشْفِ وَالْبَيَانُ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ ط دَارُ التَّفْسِيرِ» (٢٨/ ٤٩٥)



فَالْكِنَاسُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا وَصَفْتُ، وَغَيْرُ مُنْكَرٍ أَنْ يُسْتَعَارَ ذَلِكَ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَكُونُ بِهَا النُّجُومُ مِنَ السَّمَاءِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ النُّجُومُ دُونَ الْبَقَرِ، وَلَا الْبَقَرُ دُونَ الظِّبَاءِ؛ فَالصَّوَابُ أَنْ يَعُمَّ بِذَلِكَ كُلَّ مَا كَانَتْ صِفَتُهُ الْخُنُوسَ أَحْيَانًا، وَالْجَرْيَ أُخْرَىٰ، وَالْكُنُوسُ بِآنَاتٍ عَلَىٰ مَا وَصَفَ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ- مِنْ صِفَتِهَا[1].

وَكُلُّ مَا ذَكَرَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَىٰ الِاخْتِفَاءِ وَالتَّغَيُّبِ[2].

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾ [التَّكْوِيرِ: ١٧] وَعَسْعَسَ: حَرْفٌ مِنَ الْأَضْدَادِ. يُقَالُ: عَسْعَسَ اللَّيْلُ: إِذَا أَدْبَرَ، وَعَسْعَسَ: إِذَا أَقْبَلَ.

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَسْعَسَةَ وَالْعِسَاسَ: رِقَّةُ الظَّلَامِ، وَذَلِكَ فِي طَرَفَيْ اللَّيْلِ، فِي مَبْدَأِ اللَّيْلِ وَمُنْتَهَاهُ[3].

وَفِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ قَوْلَانِ:-

أَحَدُهُمَا: وَلَّىٰ.

قَالَ الْفَرَّاءُ: اجْتَمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ «عَسْعَسَ»: أَدْبَرَ[4]، وَفِيهِ خِلَافٌ كَمَا سَتَرَىٰ.

وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ: أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ قَالُوا فِي: ﴿عَسۡعَسَ﴾ أَنَّهُ: وَلَّىٰ،

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٥٩)

(٢) «غَرِيبُ الْحَدِيثِ لِإِبْرَاهِيمَ الْحَرْبِيِّ» (٣/ ١٠٣٩)

(٣) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٥٦٦)

(٤) «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (٣/ ٢٤٢)



وَذَهَبَ، وَأَدْبَرَ، وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءٍ، وَالْكَلْبِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[١]، وَعَلِيٍّ رضي الله عنه[٢]. وَمُقَاتِلٍ، وَمُجَاهِدٍ[٣] وَالضَّحَّاكِ، وَابْنِ زَيْدٍ، وَقَتَادَةَ[٤].

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: وَأَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ عِنْدِي: قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَىٰ ذَلِكَ: إِذَا أَدْبَرَ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ فَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الْقَسَمَ بِاللَّيْلِ مُدْبِرًا، وَبِالنَّهَارِ مُقْبِلًا، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: عَسْعَسَ اللَّيْلُ، وَسَعْسَعَ اللَّيْلُ: إِذَا أَدْبَرَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا الْيَسِيرُ؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ رُؤْبَةَ بْنِ الْعَجَّاجِ:

يَا هِنْدُ مَا أَسْرَعَ مَا تَسَعْسَعَا وَلَوْ رَجَا تَبْعَ الصَّبَا تَتَبَّعَا[٥].

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: الْأَكْثَرُونَ عَلَىٰ أَنَّ ﴿عَسۡعَسَ﴾ بِمَعْنَىٰ: وَلَّىٰ، وَذَهَبَ، وَأَدْبَرَ[٦].

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَقْبَلَ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَهُوَ تَرْجِيحُ ابْنِ كَثِيرٍ.

وَرَوَىٰ أَبُو الْعَبَّاسِ عَنِ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ: الْعَسْعَسَةُ: ظُلْمَةُ اللَّيْلِ كُلِّهِ[٧].

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ وَتَنَفُّسُ النَّهَارِ عِبَارَةٌ عَنْ تَوَسُّعِهِ[٨]. وَمَعْنَىٰ التَّنَفُّسِ: خُرُوجُ النَّسِيمِ مِنَ الْجَوْفِ.

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٥٩)

(٢) «التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ» (٢٣/ ٢٤٢)

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٦٠)

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٦٠)

(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٦٢)

(٦) «التِّبْيَانُ فِي أَيْمَانِ الْقُرْآنِ ط عَالَمُ الْفَوَائِدِ» (١/ ١٩٠)

(٧) «تَهْذِيبُ اللُّغَةِ» (١/ ٦٢)

(٨) «الْمُفْرَدَاتُ فِي غَرِيبِ الْقُرْآنِ» (ص٨١٨)



فِي هَذِهِ الْآيَةِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: طُلُوعُ الْفَجْرِ، قَالَهُ عَلِيٌّ، وَقَالَ قَتَادَةُ: إِذَا أَضَاءَ وَأَقْبَلَ[١].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُرِيدُ طُلُوعَ الْفَجْرِ إِذَا أَضَاءَ ثُمَّ زَادَ وَاسْتَعْرَضَ فِي السَّمَاءِ[٢].

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، أَنَّهُ خَرَجَ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَقَالَ: «نِعْمَ سَاعَةُ الْوِتْرِ هَذِهِ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[٣]

الثَّانِي: طُلُوعُ الشَّمْسِ، قَالَهُ الضَّحَّاكُ[٤].

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: إِذَا ارْتَفَعَ النَّهَارُ فَهُوَ تَنَفُّسُ الصُّبْحِ[٥].

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ تَنَفَّسَ بِمَعْنَىٰ طَالَ، مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: قَدْ تَنَفَّسَ النَّهَارُ؛ إِذَا طَالَ.

وَالْآيَةُ فِيهَا تَشْبِيهُ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِالْمَكْرُوبِ الْمَحْزُونِ الَّذِي جَلَسَ بِحَيْثُ لَا يَتَحَرَّكُ، وَاجْتَمَعَ الْحُزْنُ فِي قَلْبِهِ، فَإِذَا تَنَفَّسَ وَجَدَ رَاحَةً. فَهَا هُنَا لَمَّا طَلَعَ الصُّبْحُ فَكَأَنَّهُ تَخَلَّصَ مِنْ ذَلِكَ الْحُزْنِ؛ فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالتَّنَفُّسِ، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ لَطِيفَةٌ[٦].

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٦٣)
(٢) «التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ» (٢٣/ ٢٧١)
(٣) «الْمُسْتَدْرَكُ عَلَىٰ الصَّحِيحَيْنِ لِلْحَاكِمِ» (٢/ ٥٦١)
(٤) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٢١٧)
(٥) «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (٣/ ٢٤٢)
(٦) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ» (٣١/ ٦٩)





الْعَلَاقَةُ بَيْنَ الْبَعْثِ وَخَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ:

وَفِي إِقْبَالِ اللَّيْلِ وَإِقْبَالِ النَّهَارِ تَثْبِيتُ الْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ ظُلْمَةَ اللَّيْلِ إِذَا غَشَتْ سَتَرَتْ عَنْ وُجُوهِ الْأَشْيَاءِ، وَكَشَفَ النَّهَارُ عَنْهَا السَّتْرَ، وَلَوْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يُغَطِّيَ الْأَشْيَاءَ كُلَّهَا بِالْحِيَلِ وَالْأَسْبَابِ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْهَا، وَلَوْ أَرَادَ نَزْعَ الْغِطَاءِ عَنْهَا، لَمْ يَمْلِكْ، فَذَكَّرَهُمْ هَذَا؛ لِيَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ بَلَغَتْ قُدْرَتُهُ هَذَا لَا يُعْجِزُهُ أَمْرٌ، وَلَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ الْبَعْثُ؛ بَلْ هُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَائِهِمْ وَبَعْثِهِمْ[١].

﴿إِنَّهُۥ﴾ هَذَا هُوَ الْقِسْمُ الثَّانِي فِي السُّورَةِ.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ وَهُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ، يَعْنِي: الْقُرْآنَ.

وَفِي الرَّسُولِ الْكَرِيمِ قَوْلَانِ:

- **أَحَدُهُمَا**: جِبْرِيلُ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ[٢].

وَالْمَعْنَىٰ: تَبْلِيغُ رَسُولٍ لِلَّهِ كَرِيمٍ عَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ أَصْلَ الْقَوْلِ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ لَيْسَ مِنْ جِبْرِيلَ.

- **الثَّانِي**: هُوَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَهُ ابْنُ عِيسَىٰ[٣].

وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْقُرْآنِ مَرَّتَيْنِ:-

- سُورَةِ الْحَاقَّةِ، وَالْمَقْصُودُ بِهَا مُحَمَّدٌ ﷺ.
- وَسُورَةِ التَّكْوِيرِ، وَالْمَقْصُودُ بِهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

(١) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٣٥)
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٦٣)
(٣) «تَفْسِيرُ الْمَاوَرْدِيِّ = النُّكَتُ وَالْعُيُونُ» (٦/ ٢١٨)



وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: وَاحْتَجَّ طَائِفَةٌ مِنَ الْكُلَّابِيَّةِ -كَأَبِي مُحَمَّدٍ الدِّمَشْقِيِّ وَغَيْرِهِ- عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ إِحْدَاثُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحَاقَّة: ٤٠]. قَالَ: فَإِنَّمَا أَضَافَهُ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَحْدَثَهُ وَأَلَّفَهُ. وَهَذَا بَاطِلٌ؛ فَإِنَّ اللَّهَ -تَعَالَىٰ- أَضَافَهُ إِلَىٰ الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ تَارَةً، وَإِلَىٰ الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ أُخْرَىٰ: إِلَىٰ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّدٍ -صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا-، وَكِلَاهُمَا رَسُولٌ مُصْطَفَىٰ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحَجّ: ٧٥].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التَّكْوِير: ١٩-٢١]. فَهَذَا جِبْرِيلُ، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحَاقَّة: ٤٠-٤٣]. فَهَذَا مُحَمَّدٌ ﷺ، فَلَوْ كَانَ مُضَافًا إِلَيْهِ لِأَنَّهُ أَحْدَثَهُ لَتَنَاقَضَ الْخَبَرَانِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ أَحْدَثَهُ هَذَا لَمْ يُحْدِثْهُ الْآخَرُ[1].

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ لِجِبْرِيلَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ سِتَّةَ أَوْصَافٍ:

الْأَوَّلُ: أَنَّهُ رَسُولٌ، وَلَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَنِ الْمَلَائِكَةِ: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فَاطِر: ١] فَبَعْضُهُمْ رُسُلٌ؛ لِأَنَّ مِنْهُمُ الْقَائِمَ بِلَا نَوْمٍ، وَكَالسَّاجِدِ لَا يَرْفَعُ، وَالرَّاكِعِ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، وَالْقَائِمِ لَا يَحْنِي رَأْسَهُ؛ وَجِبْرِيلُ رَسُولٌ، بَلْ أَعْظَمُ رُسُلِ الْمَلَائِكَةِ.

(١) (شَرْحُ الْأَصْبَهَانِيَّةِ (١/ ٣٨٩)





الثَّانِي: ﴿كَرِيمٌ﴾ أَيِ: انْتَفَتْ عَنْهُ وُجُوهُ الْمَذَامِّ كُلُّهَا، وَثَبَتَتْ لَهُ وُجُوهُ الْمَحَامِدِ كُلُّهَا[١]، وَمَنْ كَرَمِهِ أَنَّهُ يَنْقِلُ لَنَا أَعْظَمَ شَيْءٍ وَصَلَنَا؛ لِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ.

الثَّالِثُ: ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ وَمِنْ قُوَّتِهِ أَنَّهُ حَمَلَ قَوْمَ لُوطٍ عَلَىٰ طَرَفِ جَنَاحِهِ، ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَقَلَبَهَا.

وَفِي وَصْفِهِ بِالْقُوَّةِ فَائِدَتَانِ:

الْأَمْنُ عَنْ تَغْيِيرٍ يَقَعُ فِيهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ مِنَ الْجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَالْإِنْسِ، لِأَنَّهُ يَحْتَجِزُ عَنْهُمْ بِقُوَّتِهِ؛ فَلَا يَتَمَكَّنُونَ مِنْهُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوهُ وَيُبَدِّلُوهُ، وَوَصَفَهُ بِالْأَمَانَةِ فِي نَفْسِهِ؛ لِيَأْمَنَ الْخَلْقُ نَاحِيَتَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِالْقُوَّةِ عَلَىٰ التَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ لِلَّذِينَ عَادَوا مُحَمَّدًا ﷺ فَيُخْبِرُهُمْ أَنَّ مَعَهُ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ شَرَّهُمْ وَكَيْدَهُمْ إِنْ هَمُّوا ذَلِكَ بِهِ[٢]؛ لِأَنَّ مَنْ عَادَىٰ هَذَا الرَّسُولَ فَقَدْ عَادَىٰ صَاحِبَهُ وَوَلِيَّهُ جِبْرِيلَ، وَمَنْ عَادَىٰ ذَا الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ فَهُوَ عُرْضَةٌ لِلْهَلَاكِ[٣].

الرَّابِعُ: ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ لَهُ مَكَانَةٌ وَوَجَاهَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ، فَيُطِيعُهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَيَعْمَلُونَ بِقَوْلِهِ، قَالَ الطَّبَرِيُّ: يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: ذِي قُوَّةٍ، يَعْنِي جَبْرَائِيلَ، عَلَىٰ مَا كُلِّفَ مِنْ أَمْرٍ غَيْرُ عَاجِزٍ[٤].

الْخَامِسُ: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾ جِبْرِيلُ ﷺ مُطَاعٌ فِي السَّمَاءِ، تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ.

وَقِيلَ: إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام رَسُولٌ إِلَىٰ الْمَلَائِكَةِ كَمَا هُوَ رَسُولٌ إِلَىٰ

---

(١) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٨٩)

(٢) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٣٥)

(٣) «التِّبْيَانُ فِي أَيْمَانِ الْقُرْآنِ ط عَالَمُ الْفَوَائِدِ» (١/ ١٩٣)

(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٦٣)



النَّاسِ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ؛ فَفِيهِ إِخْبَارٌ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ يَعْبُدُهَا بَعْضُ الْكَفَرَةِ يُطِيعُونَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ، فَمَا بَالُهُمْ يَتْرُكُونَ طَاعَتَهُ وَالِائْتِمَارَ بِأَمْرِهِ؟![1]

قَالَ الْحَسَنُ: فَرَضَ اللَّهُ عَلَىٰ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ طَاعَةَ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كَمَا فَرَضَ عَلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ طَاعَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ[2].

السَّادِسُ: ﴿أَمِينٌ﴾ أَمِينٌ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ وَحْيِهِ وَرِسَالَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا ائْتَمَنَهُ عَلَيْهِ[3]. وَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿ثَمَّ أَمِينٍ﴾، أَيْ: هُمْ يَأْتَمِنُونَهُ، وَلَا يَتَّهِمُونَهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَجِيءُ بِهِ إِلَيْهِمْ، فَكَيْفَ يَتَّهِمُهُ هَؤُلَاءِ فِيمَا يَأْتِي إِلَىٰ الرَّسُولِ مِنَ الْوَحْيِ؟[4]

وَلَمَّا وَصَفَ السَّفِيرُ الْمَلَكِيُّ -وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْخَمْسِ الَّتِي أَزَالَتْ عَنِ الْقُرْآنِ كُلَّ لَبْسٍ، وَكَانَ وَصْفُهُ بِهَا إِنَّمَا هُوَ لِأَجْلِ إِثْبَاتِ شَرَفِ الرَّسُولِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي هُوَ بَيْنَ الْحَقِّ وَعَامَّةِ الْخَلْقِ، وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ[5].

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾

وَمَا صَاحِبُكُمْ -أَيُّهَا النَّاسُ- مُحَمَّدٌ بِمَجْنُونٍ، فَيَتَكَلَّمُ عَنْ جِنَّةٍ، وَيَهْذِي هَذَيَانَ الْمَجَانِينِ، بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ، وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ[6].

---

(١) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٣٦)
(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٩٠)
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٦٥)
(٤) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٣٦)
(٥) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّوَرِ» (٢١/ ٢٩٠)
(٦) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٦٥)





وَهَذِه الْآيَةُ -أَيْضًا- مِنْ جوَابِ الْقَسَمِ، أَقْسَمَ اللَّهُ: أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا لَيْسَ كَمَا تَقُولُهُ أَهْلُ مَكَّةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ، وَهَذَا الَّذِي يَأْتِي بِهِ تَقَوَّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحِجر: ٦] الْآيَةُ. وَكَذَّبَهُمْ اللَّهُ فِيمَا قَالُوا بِقَوْلِهِ: ﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القَلَم: ١-٢]، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[1]..

وَفِي وَصْفِ اللَّهِ -جَلَّ ذِكْرُهُ- الرَّسُولَ بِأَنَّهُ صَاحِبُهُمْ، أَيْ: عَرَفْتُمُوهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ عُمْرًا طَوِيلًا. فَمَا لَكُمْ حِينَ جَاءَكُمْ بِالْحَقِّ تَقُولُونَ فِيهِ مَا تَقُولُونَ. وَتَذْهَبُونَ فِي أَمْرِهِ الْمَذَاهِبَ، وَهُوَ «صَاحِبُكُمْ» الَّذِي لَا تَجْهَلُونَ. وَهُوَ الْأَمِينُ عَلَىٰ الْغَيْبِ الَّذِي يُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ عَنْ يَقِينٍ؟[2].

لِمَاذَا وَصَفُوا الرَّسُولَ ﷺ بِالْجُنُونِ؟

- قِيلَ: نَسَبُوهُ إِلَىٰ الْجُنُونِ حِينَ رَأَىٰ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَىٰ صُورَتِهِ فَغُشِيَ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُ وَجْهِهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْوَحْيِ؛ فَيَنْسِبُونَهُ إِلَىٰ الْجُنُونِ لِهَذَا، وَهَذَا فِيهِ بُعْدٌ؛ فَهَذَا حَدَثَ مَرَّةً وَاحِدَةً، وَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ رَآهُ فِيهَا غَيْرُ خَدِيجَةَ.

- وَقِيلَ إِنَّمَا نَسَبُوهُ إِلَىٰ الْجُنُونِ؛ لِأَنَّهُ أَظْهَرَ الْمُخَالَفَةَ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، وَكَانَ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ الْجَبَابِرَةُ وَالْفَرَاعِنَةُ الَّذِينَ مِنْ عَادَتِهِمُ الْقَتْلُ وَالتَّعْذِيبُ لِمَنْ أَظْهَرَ الْخِلَافَ لَهُمْ؛ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُ مُخَاطَرَةً بِنَفْسِهِ وَرُوحِهِ؛

(١) «التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ» (٢٣/ ٢٧٦)

(٢) (مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ بِمَعْنَاهُ (٤/ ٣٨٩)، فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ ٦/ ٨٣٣) بِلَفْظِهِ.



حَيْثُ انْتَصَبَ لِمُعَادَاةِ مَنْ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِمْ، وَمَنْ قَامَ بِخِلَافِ مَنْ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ، وَانْتَصَبَ لِمُعَادَاتِهِ، فَذَلِكَ مِنْهُ حُمْقٌ وَجُنُونٌ؛ فَنَسَبُوهُ إِلَىٰ الْجُنُونِ لِهَذَا.

وَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْسِبُوهُ إِلَىٰ الْجُنُونِ لِمَا ذَكَرْنَا، وَلَكِنَّ شِدَّةَ سَفَهِهِمْ هُوَ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَىٰ هَذَا؛ فَنَسَبُوهُ إِلَىٰ الْجُنُونِ مَرَّةً، وَإِلَىٰ أَنَّهُ سَاحِرٌ أُخْرَىٰ، وَمَرَّةً قَالُوا: عَلَّمَهُ بَشَرٌ، وَمَرَّةً قَالُوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾؛ فَكَانُوا يَنْسِبُونَهُ إِلَىٰ كُلِّ مَا ذَكَرْنَا، لَا عَنْ بَحْثٍ مِنْهُمْ فِي حَالِهِ، وَلَكِنْ عَلَىٰ السَّفَهِ وَالْعِنَادِ؛ أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُمْ نَسَبُوهُ إِلَىٰ الْجُنُونِ مَرَّةً، وَإِلَىٰ السِّحْرِ ثَانِيًا، وَهُمَا أَمْرَانِ مُتَنَاقِضَانِ؛ لِأَنَّ السَّاحِرَ هُوَ الَّذِي بَلَغَ فِي الْعِلْمِ غَايَتَهُ، وَالْجُنُونَ هُوَ النِّهَايَةُ فِي الْجَهْلِ، وَلَوْ كَانُوا يَقُولُونَهُ عَنْ بَحْثٍ وَتَدَبُّرٍ لَكَانُوا لَا يَأْتُونَ بِالْمُخْتَلِفِ مِنَ الْقَوْلِ؛ فَيَظْهَرُ جَهْلُهُمْ لِمَنْ يُرِيدُونَ صَدَّهُ عَنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، بَلْ كَانُوا يَتَّفِقُونَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، فَيَصْدُرُونَ عَنْهَا حَتَّىٰ يَقَعَ التَّلْبِيسُ مِنْهُمْ مَوْقِعَهُ؛ فَيَصِلُوا إِلَىٰ مُرَادِهِمْ مِنْ صَدِّ النَّاسِ عَنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَكَذَلِكَ فِيمَا زَعَمُوا أَنَّهُ عَلَّمَهُ بَشَرٌ، وَأَنَّهُ إِفْكٌ افْتَرَاهُ؛ أَتَوْا بِالْمُخْتَلِفِ مِنَ الْقَوْلِ؛ لِأَنَّ اخْتِلَاقَهُ وَافْتِرَاءَهُ يُثْبِتُ أَنَّهُ عَالِمٌ بِنَفْسِهِ، مُسْتَغْنٍ عَنْ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَحَاجَتُهُ إِلَىٰ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ غَيْرِهِ تُثْبِتُ عَجْزَهُ وَجَهْلَهُ عَنِ الِاخْتِلَاقِ بِنَفْسِهِ، فَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُمْ لَمْ يَنْسِبُوهُ إِلَىٰ الْجُنُونِ لِأَعْلَامٍ ظَهَرَتْ لَهُمْ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُمْ قَذَفُوهُ بِكُلِّ مَا حَضَرَهُمْ؛ سَفَهًا مِنْهُمْ وَعِنَادًا[١].

---

(١) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٣٧)





﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التَّكْوِيرِ: ٢٣].

الْأُفُقُ: الْجَانِبُ وَالنَّاحِيَةُ، وَجَمْعُهُ: آفَاقٌ، وَيُقَالُ: أُفُقٌ بِضَمِّ الْفَاءِ وَسُكُونِهَا. وَالْمُبِينُ: الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ[1].

﴿بِٱلْأُفُقِ﴾ آفَاقُ السَّمَاءِ: مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ الْبَصَرُ مِنْهَا مَعَ وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهَا[2].

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ﴾ أَيْ: رَأَىٰ مُحَمَّدٌ ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾. الَّذِي هُوَ أَعْلَىٰ مَا يَلُوحُ لِلْبَصَرِ.

وَلَقَدْ رَآهُ: أَيْ مُحَمَّدٌ جِبْرِيلَ ﷺ فِي صُورَتِهِ بِالنَّاحِيَةِ الَّتِي تُبَيِّنُ الْأَشْيَاءَ، فَتُرَىٰ مِنْ قِبَلِهَا، وَذَلِكَ مِنْ نَاحِيَةِ مَطْلِعِ الشَّمْسِ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ[3].

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾: بِأُفُقٍ مِنْ نَحْوِ أَجْيَادٍ[4]. وَهُوَ مَشْرِقُ مَكَّةَ.

وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ: رَأَىٰ مُحَمَّدٌ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ، يَعْنِي: حَيْثُ تَطْلُعُ الشَّمْسُ فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ[5]، وَالصَّوَابُ أَنَّ فِي الْمَسْأَلَةِ خِلَافًا، وَقَدْ نَقَلَ الْمَاوَرْدِيُّ فِي «النُّكَتِ وَالْعُيُونِ» الْخِلَافَ فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ

(١) «الْمُفْهِمُ لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِيصِ كِتَابِ مُسْلِمٍ» (١/ ٤٠٣)
(٢) «مَقَايِيسُ اللُّغَةِ» (١/ ١١٥)
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٦٦)
(٤) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٦٦)
(٥) (التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ ٢٣/ ٢٥٠) «تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ» (٣١/ ٧٠)



رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ وَفِي الَّذِي رَآهُ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ رَأَىٰ رَبَّهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ.

وَالثَّانِي: رَأَىٰ جِبْرِيلَ بِالْأُفُقِ الْمُبِيَّنِ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا(١).

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: ذَهَبَتْ عَائِشَةُ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَقَتَادَةُ وَجُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ إِلَىٰ أَنَّ الْمَرْئِيَّ هُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَرَّتَيْنِ: فِي الْأَرْضِ، وَعِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ(٢).

وعَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، قَالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي، وَلَا تُعْجِلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التَّكْوِيرِ: ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النَّجْمِ: ١٣]؟ فَقَالَتْ: أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ»، فَقَالَتْ: أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الْأَنْعَامِ: ١٠٣]، أَوَ لَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشُّورَىٰ: ٥١]؟، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ

(١) (النُّكَتُ وَالْعُيُونُ، ٦/ ٢١٨)

(٢) «تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ = الْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ» (٥/ ١٩٨)





كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المَائِدَة: ٦٧]، قَالَتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النَّمْل: ٦٥][(١)].

مَرَاتِبِ الْوَحْيِ:

إِحْدَاهَا: الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، وَكَانَتْ مَبْدَأَ وَحْيِهِ ﷺ، وَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ.

الثَّانِيَةُ: مَا كَانَ يُلْقِيهِ الْمَلَكُ فِي رُوْعِهِ وَقَلْبِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرَاهُ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوْعِي: إِنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَىٰ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**»[(٢)].

الثَّالِثَةُ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُخَاطِبُهُ حَتَّىٰ يَعِيَ عَنْهُ مَا يَقُولُ لَهُ، وَفِي هَذِهِ الْمَرْتَبَةِ كَانَ يَرَاهُ الصَّحَابَةُ أَحْيَانًا.

الرَّابِعَةُ: أَنَّهُ كَانَ يَأْتِيهِ فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ، وَكَانَ أَشَدَّهُ عَلَيْهِ،

(١) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (١/ ١٥٩)

(٢) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّىٰ تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلْكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَىٰ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ**» «مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ» (٧/ ٧٩)



فَيَتَلَبَّسُ بِهِ الْمَلَكُ حَتَّىٰ إِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، وَحَتَّىٰ إِنَّ رَاحِلَتَهُ لَتَبْرُكُ بِهِ إِلَىٰ الْأَرْضِ إِذَا كَانَ رَاكِبَهَا. وَلَقَدْ جَاءَ الْوَحْيُ مَرَّةً كَذَلِكَ وَفَخِذُهُ عَلَىٰ فَخِذِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ فَثَقُلَتْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ كَادَتْ تَرُضُّهَا.

الْخَامِسَةُ: أَنَّهُ يَرَىٰ الْمَلَكَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا، فَيُوحِي إِلَيْهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُوحِيَهُ، وَهَذَا وَقَعَ لَهُ مَرَّتَيْنِ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ.

السَّادِسَةُ: مَا أَوْحَاهُ اللَّهُ وَهُوَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ مِنْ فَرْضِ الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا.

السَّابِعَةُ: كَلَامُ اللَّهِ لَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ بِلَا وَاسِطَةِ مَلَكٍ، كَمَا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ بْنَ عِمْرَانَ، وَهَذِهِ الْمَرْتَبَةُ هِيَ ثَابِتَةٌ لِمُوسَىٰ قَطْعًا بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَثُبُوتُهَا لِنَبِيِّنَا ﷺ هُوَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ.

وَقَدْ زَادَ بَعْضُهُمْ مَرْتَبَةً ثَامِنَةً، وَهِيَ تَكْلِيمُ اللَّهِ لَهُ كِفَاحًا مِنْ غَيْرِ حِجَابٍ، وَهَذَا عَلَىٰ مَذْهَبِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ ﷺ رَأَىٰ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَهِيَ مَسْأَلَةُ خِلَافٍ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَإِنْ كَانَ جُمْهُورُ الصَّحَابَةِ -بَلْ كُلُّهُمْ- مَعَ عَائِشَةَ كَمَا حَكَاهُ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ إِجْمَاعًا لِلصَّحَابَةِ[١].

قَالَ الدَّارِمِيُّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّىٰ تَمُوتُوا»، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللَّهِ الْفِرْيَةَ»، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ[٢]، وَنُقِلَ خِلَافُ ذَلِكَ، انْظُرْ: التَّوْحِيدُ لِابْنِ خُزَيْمَةَ، وَكِتَابِي «أَعْظَمُ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

---

(١) «زَادُ الْمَعَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ الْعِبَادِ» (١/ ٧٩)

(٢) «نَقْضُ الدَّارِمِيُّ عَلَىٰ الْمَرِيسِيِّ ت الشَّوَامِيُّ» (ص٢٨٧)





﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ وَهُوَ الْوَحْيُ بِالْإِجْمَاعِ، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: وَأَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَىٰ أَنَّ الْغَيْبَ -هَاهُنَا-: الْقُرْآنُ، وَالْوَحْيُ(١).

وَقَرَأَ بِالظَّاءِ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَالْكِسَائِيُّ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالضَّادِ، وَكِلَاهُمَا مُتَوَاتِرٌ وَمَعْنَاهُ صَحِيحٌ(٢).

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: مَنْ قَرَأَ بِالظَّاءِ، فَالْمَعْنَىٰ: مَا هُوَ بِمُتَّهَمٍ عَلَىٰ مَا يُخْبِرُ بِهِ عَنِ اللَّهِ، وَمَنْ قَرَأَ بِالضَّادِ، فَالْمَعْنَىٰ: لَيْسَ بِبَخِيلٍ عَلَيْكُمْ بِعِلْمِ مَا غَابَ عَنْكُمْ مِمَّا يَنْفَعُكُمْ. وَقَالَ غَيْرُهُ: مَا يَكْتُمُهُ كَمَا يَكْتُمُ الْكَاهِنُ لِيَأْخُذَ الْأَجْرَ عَلَيْهِ(٣).

وَاخْتَارَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقِرَاءَةَ الْأَوْلَىٰ ﴿بِضَنِينٍ﴾ لِمَعْنَيَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْكُفَّارَ لَمْ يُبَخِّلُوهُ، وَإِنَّمَا اتَّهَمُوهُ، فَنَفْيُ التُّهْمَةِ أَوْلَىٰ مِنْ نَفْيِ الْبُخْلِ.

وَالْآخَرُ: قَوْلُهُ: ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ وَلَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْبُخْلِ؛ لَقَالَ: بِالْغَيْبِ(٤).

وَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ: وَلَمْ يَنْسِبْ أَحَدٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَىٰ الْبُخْلِ حَتَّىٰ يَنْفِيَ عَنْهُ الْبُخْلَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَقَدْ كَانُوا يَتَّهِمُونَهُ عَلَىٰ الْغَيْبِ، وَهُوَ الْقُرْآنُ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: عَلَّمَهُ بَشَرٌ، وَلَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ

(١) «التِّبْيَانُ فِي أَيْمَانِ الْقُرْآنِ ط عَالِمُ الْفَوَائِدِ» (١/ ١٩٧)

(٢) «تَفْسِيرُ ابْنُ كَثِيرٍ ت سَلَامَةٌ» (٨/ ٣٣٩).

(٣) «زَادُ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (٤/ ٤٠٨)

(٤) «التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ» (٢٣/ ٢٥٤)



-أَيْضًا-: إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ؛ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ -تَعَالَىٰ- مِمَّا قَالُوا بِقَوْلِهِ: (وَمَا هُوَ عَلَىٰ الْغَيْبِ بِظَنِينَ)(١)

الْقِرَاءَةُ الثَّانِيَةُ ﴿بِضَنِينٍ﴾: وَمَا هُوَ بِبَخِيلٍ أَنْ يُعَلِّمَ كَمَا تَعَلَّمَ. فَالْمَعْنَىٰ: لَيْسَ بِبَخِيلٍ عَلَيْكُمْ بِعِلْمِ مَا غَابَ عَنْكُمْ مِمَّا يَنْفَعُكُمْ، وَلَا يَكْتُمُ الْوَحْيَ كَمَا يَكْتُمُ الْكَاهِنُ لِيَأْخُذَ الأَجْرَ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ بِبَخِيلٍ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: يَقُولُ: يَأْتِيهِ غَيْبُ السَّمَاءِ، وَهُوَ مَنْفُوسٌ فِيهِ، فَلَا يَضِنُّ بِهِ عَلَيْكُمْ(٢).

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: الْمَعْنَىٰ أَنَّهُ يُخْبِرُ عَنِ الْغَيْبِ فَيُبَيِّنُهُ، وَلَا يَكْتُمُهُ كَمَا يَكْتُمُ الْكَاهِنُ، وَيَمْتَنِعُ مِنْ إِعْلَامِهِ حَتَّىٰ يَأْخُذَ عَلَيْهِ حُلْوَانًا (مُقَابِلٌ).

وَعَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ غَيْبٌ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ مُحَمَّدًا، فَبَذَلَهُ وَعَلَّمَهُ وَدَعَا إِلَيْهِ، وَاللَّهِ مَا ضَنَّ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(٣).

وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ الْغَيْبُ: الْقُرْآنُ، لَمْ يَضِنَّ بِهِ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، أَدَّاهُ وَبَلَّغَهُ، بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرُّوحَ الأَمِينَ جِبْرِيلَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَدَّىٰ جِبْرِيلُ مَا اسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ،

(١) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٣٨)
(٢) «مَعَانِي الْقُرْآنِ لِلْفَرَّاءِ» (٣/ ٢٤٢)
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٦٨)



وَأَدَّىٰ مُحَمَّدٌ مَا اسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ وَجِبْرِيلُ إِلَىٰ الْعِبَادِ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنْهُمْ ضَنَّ، وَلَا كَتَمَ، وَلَا تَخَرَّصَ(١).

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: أَوْلَىٰ التَّأْوِيلَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ؛ تَأْوِيلُ مَنْ تَأَوَّلَهُ: وَمَا مُحَمَّدٌ عَلَىٰ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ وَتَنْزِيلِهِ بِبَخِيلٍ بِتَعْلِيمِكُمُوهُ أَيُّهَا النَّاسُ، بَلْ هُوَ حَرِيصٌ عَلَىٰ أَنْ تُؤْمِنُوا بِهِ وَتَتَعَلَّمُوهُ(٢).

وَقَالَ أَبُو مَنْصُورٍ الْمَاتُرِيدِيُّ: وَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ بَرَّأَهُ اللَّهُ -تَعَالَىٰ- مِنَ الْبُخْلِ أَيْضًا؛ لِمَا عَلِمَ أَنَّهُ يَكُونُ فِي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَصَّ بَعْضَ أَصْحَابِهِ بِتَعْلِيمِ أَشْيَاءَ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهَا غَيْرُهُمْ، وَتَخْصِيصُ بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ بِتَعْلِيمِ مَا عِنْدَهُ بُخْلٌ فِي الشَّاهِدِ؛ فَكَانَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ تَكْذِيبُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ هَذَا(٣).

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ [التَّكْوِيرِ: ٢٥] قَالَ مُقَاتِلٌ: وَذَلِكَ أَنَّ كُفَّارَ مَكَّةَ قَالُوا: إِنَّمَا يَجِيءُ بِهِ الشَّيْطَانُ، فَيُلْقِيهِ عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ(٤).

فَرَدَّ اللَّهُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- عَلَيْهِمْ: وَمَا هَذَا الْقُرْآنُ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ مَلْعُونٍ مَطْرُودٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ(٥).

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التَّكْوِيرِ: ٢٦] هَذَا اسْتِضْلَالٌ لَهُمْ، إِلَىٰ أَيْنَ تَعْدِلُونَ عَنْ كِتَابِي وَعَنْ طَرِيقِي، أَيُّ طَرِيقٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟!

---

(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٦٩)
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٧٠)
(٣) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٣٨)
(٤) «زَادُ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ» (٤/ ٤٠٨)
(٥) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٧١)

وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؛ يَقُولُ: فَأَيْنَ تَعْدِلُونَ عَنْ كِتَابِي وَطَاعَتِي[١].

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ: فَأَيَّ طَرِيقٍ تَسْلُكُونَ أَبْيَنَ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ؟[٢]

وَيُحْتَمَلُ: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؟ وَإِلَىٰ مَنْ تَفْزَعُونَ إِذَا أَتَاكُمْ بَأْسُ اللَّهِ ﷻ وَنِقْمَتُهُ إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ تَعَالَىٰ، وَأَنْكَرْتُمُ الْبَعْثَ، وَلَمْ تُصَدِّقُوا الرَّسُولَ ﷺ فِيمَا أَخْبَرَكُمْ بِهِ؟! فَإِذَا حَلَّ بِكُمْ مَا أَنْذَرَكُمْ بِهِ؛ فَإِلَىٰ مَنْ تَلْجَئُونَ؟! وَهُوَ كَقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

أَوْ: إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ -تَعَالَىٰ- وَلَمْ تَتَّبِعُوا مَا أَتَاكُمْ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَقَدْ تَقَرَّرَ عِنْدَكُمْ صِدْقُهُ أَنَّ مَا أَتَاكُمْ مِنَ الْآيَاتِ الْمُعْجِزَةِ؛ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ تُصَدِّقُونَهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَتَذْهَبُونَ إِلَيْهِ؟! وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾؟[٣]

وَقَالَ ابْنُ فُورَكَ: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ عَنِ الْحَقِّ الَّذِي قَدْ ظَهَرَ أَمْرُهُ وَبَدَتْ أَعْلَامُهُ إِلَىٰ الضَّلَالِ الَّذِي فِيهِ الْبَوَارُ وَالْهَلَاكُ؟، وَهُوَ اسْتِبْطَاءٌ لَهُمْ فِي الْقُعُودِ عَنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ وَالْعَمَلِ بِمَا يُوجِبُهُ الْقُرْآنُ[٤].

---

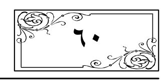
(١) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٧١)

(٢) (التَّفْسِيرُ الْبَسِيطُ ٢٣/ ٢٥٦)

(٣) «تَفْسِيرُ الْمَاتُرِيدِيِّ = تَأْوِيلَاتُ أَهْلِ السُّنَّةِ» (١٠/ ٤٤٠)

(٤) «تَفْسِيرُ ابْنُ فُورَكَ» (٣/ ١٦٤)





﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التَّكوِير: ٢٧] هَذَا الْوَحْيُ وَالْقُرْآنُ تَذْكِيرٌ لِلْعَالَمِينَ، وَشَرَفٌ لَهُمْ، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ فَهُوَ دَعْوَةٌ عَالَمِيَّةٌ مِنْ أَوَّلِ مَرْحَلَةٍ، وَالدَّعْوَةُ فِي مَكَّةَ مُحَاصَرَةٌ مُطَارَدَةٌ، كَمَا تَشْهَدُ مِثْلُ هَذِهِ النُّصُوصِ الْمَكِّيَّةِ(١).

وَهَذَا الْقُرْآنُ يَنْتَفِعُ بِهِ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التَّكوِير: ٢٨]

يَقُولُ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ-: الْقُرْآنُ عِظَةٌ لِلْعَالَمِينَ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ. ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾؛ فَجَعَلَ ذَلِكَ -تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ- ذِكْرًا لِمَنْ شَاءَ مِنَ الْعَالَمِينَ أَنْ يَسْتَقِيمَ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ ذِكْرًا لِجَمِيعِهِمْ، فَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ إِبْدَالٌ مِنَ اللَّامِ فِي ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾، وَكَانَ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَىٰ سَبِيلِ الْحَقِّ فَيَتَّبِعَهُ، وَيُؤْمَنَ بِهِ(٢).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ، فِي قَوْلِهُ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾: لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعَ الْحَقَّ(٣).

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الشَّبَوِيُّ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ؛ فَقُلْتُ لَهُ: رُوِيَ عَنْكَ أَنَّكَ قُلْتَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ؛ فَمَا الَّذِي شَيَّبَكَ مِنْهَا؟ قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ وَهَلَاكُ الْأُمَمِ؟ فَقَالَ: لَا، وَلَكِنْ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هُود: ١١٢](٤).

---

(١) «فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ» (٦/ ٨٣٤)
(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٧١)
(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٧٢)
(٤) «الرِّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةُ» (٢/ ٣٥٧)



وَقِيلَ: إِنَّ الِاسْتِقَامَةَ لَا يُطِيقُهَا إِلَّا الْأَكَابِرُ؛ لِأَنَّهَا الْخُرُوجُ عَنِ الْمَعْهُودَاتِ، وَمُفَارَقَةُ الرُّسُومِ وَالْعَادَاتِ، وَالْقِيَامُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ حَقِيقَةِ الصِّدْقِ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا. وَالْخَصْلَةُ الَّتِي بِهَا كَمُلَتِ الْمَحَاسِنُ، وَبِفَقْدِهَا قَبُحَتِ الْمَحَاسِنُ: الِاسْتِقَامَةُ، وَيُقَالُ: الِاسْتِقَامَةُ فِي الْأَقْوَالِ بِتَرْكِ الْغِيبَةِ، وَفِي الْأَفْعَالِ بِنَفْيِ الْبِدْعَةِ، وَفِي الْأَعْمَالِ بِنَفْيِ الْفَتْرَةِ(١).

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾، وَلَكِنَّ مَشِيئَتَكُمْ لَيْسَتْ خَارِجَةً عَنْ مَشِيئَةِ اللَّهِ، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التَّكْوِيرِ: ٢٩].

وَسَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ قَالَ أَبُو جَهْلٍ: ذَلِكَ إِلَيْنَا، إِنْ شِئْنَا اسْتَقَمْنَا، وَإِنْ شِئْنَا لَمْ نَسْتَقِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢).

وَقَوْلُهُ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

- **أَحَدُهَا**: يَقُولُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ: وَمَا تَشَاءُونَ أَيُّهَا النَّاسُ الِاسْتِقَامَةَ عَلَىٰ الْحَقِّ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ذَلِكَ لَكُمْ(٣).

- **الثَّانِي**: وَمَا تَشَاؤُونَ الْهِدَايَةَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يُرَاجِعُهُ الْكَلَامَ، فَقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، فَقَالَ: «**جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا، مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ**»(٤).

---

(١) «الرِّسَالَةُ الْقُشَيْرِيَّةُ» (٢/ ٣٥٧)

(٢) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ = جَامِعُ الْبَيَانِ ط هَجَرَ» (٢٤/ ١٧٣) (النُّكَتُ وَالْعُيُونُ، ٦/ ٢١٩)

(٣) «تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ» (٢٤/ ١٧٢)

(٤) «مُسْنَدُ أَحْمَدَ» (٥/ ٢٩٧ ط الرِّسَالَةُ)





وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الْآيَةُ؛ فَأَعْلَمَ خَلْقَهُ أَنَّ الْمَشِيئَةَ لَهُ دُونَ خَلْقِهِ، وَأَنَّ مَشِيئَتَهُمْ لَا تَكُونُ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَيُقَالُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ، وَيُقَالُ: مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، عَلَىٰ مَا وَصَفْتُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- تَعَبَّدَ الْخَلْقَ بِأَنْ فَرَضَ طَاعَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا أُطِيعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ أُطِيعَ اللَّهُ بِطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ(١).

وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهُ قَالَ: الْكُتُبُ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَىٰ الْأَنْبِيَاءِ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بِضْعٌ وَتِسْعُونَ كِتَابًا، قَرَأْتُ مِنْهَا بِضْعًا وَثَمَانِينَ كِتَابًا، فَوَجَدْتُ فِيهَا: مَنْ جَعَلَ إِلَىٰ نَفْسِهِ شَيْئًا مِنَ الْمَشِيئَةِ فَقَدْ كَفَرَ. انْتَهَىٰ(٢).

📖 الْفَارِقُ بَيْنَ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ:

الْمَشِيئَةُ أَعَمُّ مِنَ الْإِرَادَةِ، وَمَنْ تَتَبَّعَ مَوَاضِعَ اسْتِعْمَالَاتِ الْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ فِي الْقُرْآنِ يَعْلَمُ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ بِحَسْبِ اللُّغَةِ يُسْتَعْمَلُ كُلٌّ مِنْهُمَا مَقَامَ الْآخَرِ(٣).

والْإِرَادَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ -تَعَالَىٰ- نَوْعَانِ: إِرَادَةٌ خَلْقِيَّةٌ قَدَرِيَّةٌ كَوْنِيَّةٌ، وَإِرَادَةٌ دِينِيَّةٌ أَمْرِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ؛ فَالْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ الدِّينِيَّةُ هِيَ الْمُتَضَمِّنَةُ لِلْمَحَبَّةِ وَالرِّضَا، وَالْكَوْنِيَّةُ هِيَ الْمَشِيئَةُ الشَّامِلَةُ لِجَمِيعِ الْحَوَادِثِ، كَقَوْلِ الْمُسْلِمِينَ: مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وَهَذَا كَقَوْلِهِ -تَعَالَىٰ-:

---

(١) «الْأُمُّ لِلشَّافِعِيِّ» (١/ ٢٣٣)

(٢) «نَظْمُ الدُّرَرِ فِي تَنَاسُبِ الْآيَاتِ وَالسُّورِ» (٢١/ ٢٩٦)

(٣) أُنْظُرْ: «التَّعْرِيفَاتُ» (ص٢١٦)



﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وَقَوْلِهِ عَنْ نُوحٍ: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤].

فَهَذِهِ الْإِرَادَةُ تَعَلَّقَتْ بِالْإِضْلَالِ وَالْإِغْوَاءِ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَشِيئَةُ؛ فَإِنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ.

[وَمِنْهَا قَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] أَيْ: مَا شَاءَ خَلْقَهُ، لَا مَا يَأْمُرُ بِهِ].

وَقَدْ يُرَادُ بِالْإِرَادَةِ الْمَحَبَّةُ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ يَفْعَلُ الْفَاحِشَةَ: هَذَا فَعَلَ مَا لَا يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ، وَقَدْ يُرَادُ الْمَشِيئَةَ؛ كَمَا يَقُولُونَ لِمَا لَمْ يَكُنْ: هَذَا لَمْ يُرِدْهُ اللَّهُ.

وَأَمَّا الدِّينِيَّةُ: فَقَوْلُ اللَّهِ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وَقَوْلُهُ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٦-٢٨]. وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٦]. وَقَوْلُهُ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فَهَذِهِ الْإِرَادَةُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ لَيْسَتْ هِيَ الَّتِي يَجِبُ مُرَادُهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٠] وَقَوْلُ





الْمُسْلِمِينَ: مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، بَلْ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي مِثْلِ قَوْلِ النَّاسِ لِمَنْ يَفْعَلُ الْقَبَائِحَ: هَذَا يَفْعَلُ مَا لَا يُرِيدُهُ اللَّهُ، أَيْ: لَا يُحِبُّهُ وَلَا يَرْضَاهُ وَلَا يَأْمُرُ بِهِ[1].



(١) انْظُرْ «مِنْهَاجُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» (٣/ ١٧)

